٥٠٦
دار م. النحاس
عبير
506
HARLEQUIN

liilas.com

hebawebas

والتقينا من جديد

كارول مورتيمر

و التقينا من جديد

liilas.com

كارول مورتيمر

لقد خدعت كلياً منذ سبع سنوات، ولكن ليس من جديد. منذ سبع سنوات كانت سين حالمة ومغرمة.

الآن أصبح كل ذلك وراءها، وهي تنظم حفلات زفاف الآخرين بينما تبقى هي عازبة. لم تكن تتوقع أن تكون مهمتها الأخيرة رؤية وولف ثورنتون عريساً، الرجل الذي توقعت مرة أن تتزوج منه!

افترقا بمرارة وندم، وسين قررت أن لا تقع في حب رجلٍ أبداً. ولكن بدا أنها تفعل ذلك تماماً، ومع الرجل نفسه.!

hebawebas

liilas.com

«ماذا تفعل هنا، يا وولف؟»

سألته متحدية. لوى فمه، مظهراً الخطوط العميقة على خديه. «بالتأكيد أنت لا تعتقدين أن حديثنا قد انتهى؟» قال بازدراء ناظراً إليها بإشفاق لسذاجتها.

أخذت نفساً متقطعاً: «أي حديث تعني، يا وولف؟» ورفعت حاجبيها الأشقرين متسائلة: «حديث هذا الصباح أم ذاك الذي كان منذ سبع سنوات؟»

hebawebas

الفصل الأول

قالت جيني متهكمة: «ألا تعتقدين أن هذا من لمسات لسيدة شاترلي؟»

قامت سين بحركة خفيفة للموافقة على تلك الملاحظة مع أن انتباهها كان منصباً على المنظر الذي تشهده بدون تفكير.

لقد دعا الخادم المتعجرف سين وجيني لدخول غرفة الاستقبال الصغيرة منذ ثوان قليلة، في حين ذهب هو للبحث عن ريبيكا هاركورت، سيدة المنزل الصغيرة. تمنت سين بشدة ان لا تكون السيدة الصغيرة في الحديقة. هي سيدة المنزل التي ذهب في أثرها ذلك الخادم المتعجرف، وإلا فإن رحلتهما هذه تكون قد ذهبت سدى، حيث أن الفتاتين قدمتا إلى العاصمة خصيصاً لرؤية عائلة هاركورت، وقد أخذتا بمظهر منزل هاركورت من الخارج بما فيه الكفاية. فالأراضي المحيطة به كانت كبيرة وشاسعة بحيث أنها توازي حجم المتنزه الذي يقابلها. وعلى الرغم من أن المنازل الكبيرة القديمة كانت مألوفة في لندن، إلا أن مساحة الأراضي المحيطة بمنزل هاركورت جعلت سين تتيقن من أن هذه الأراضي لها قيمة كبيرة لوجودها في قلب العاصمة.

في اعتقاد سين أن حاجة آل هاركورت للبستاني، هي بسبب مساحة هذه الأراضي الشاسعة. ويا له من بستاني.

رجل طويل ذهبي الشعر كأنه احد آلهة الاغريق القدماء، في الخامسة والعشرين من العمر، ذو بشرة نحاسية اكتسبها من كثرة تعرضه للشمس، وقد لوحته كثيراً مع أنه شهر نيسان. ومع قدوم أشهر الصيف الحارة فإن بشرته معرضة للمزيد من السمرة.

بينما كان هذا البستاني يعمل في تلك الشجيرات المجاورة للبيت، دخلت جيني وسين إلى الغرفة وكان واضحاً إنهماكه في عمله وبدا أنه كان سيبقى كذلك لولا مرور فتاة شابة في العشرين من عمرها. مرت الفتاة في تلك الأراضي البرية التي تبعد بضع اقدام عنه لتدخل إلى البناء الخشبي المبني في أحد جوانب الحديقة بعيداً عن البيت. وما هي إلا بضع ثوان حتى انتصب ذلك البستاني وتلفت حوله بانتباه ليتأكد من أن أحداً لا يراقبه قبل أن يدخل هو أيضاً إلى ذاك البناء الخشبي.

لقد جاءت ملاحظة جيني المتهكمة في نفس تلك اللحظة التي دخل فيها البستاني في أثر الفتاة. وعلى ما يبدو فإن الفتاة التي عبرت الحديقة لم تنتبه لعمل البستاني هناك وهي لا تبدو كخادمة أو أي فتاة اخرى تعمل في المنزل. فتسريحة شعرها الأحمر كانت مثبتة باحتراف، وزينة وجهها موضوعة باتقان، وزيها يحمل توقيع أحد مصممي الأزياء المشهورين، هذا إن لم تكن سين مخطئة. لقد تمنت ألا تكون ريبيكا هاركورت، لأن سين شكت في أن يكون هذا البستاني هو العريس الذي تنوي أن ترتبط به ريبيكا.

قام جيرالد، والد ريبيكا هاركورت، بتدبير موعد قدوم سين إلى منزله اليوم، مدعياً أن ابنته بغياب والدتها تحتاج

إلى المساعدة في شأن تنظيم زفافها، حيث كان من المقرر أن يتم في شهر آب - اغسطس.

تنظيم حفلات الأعراس مع كل ما يصاحبها من مشكلات، كان مجال العمل الذي تقوم سين بإدارته الذي يسمى «النعمة التامة.»

خطرت لسين فكرة هذا المشروع في أحد الأيام الكئيبة، حين وجدت نفسها قد علقت بمواجهة نهاية حياة مهنية أخرى، وقد عملت خلالها عند احد الممولين، الذي كان ذو مزاج مشاكس لا تحلو له المضايقات إلا وهم مستغرقون في العمل. مما جعل سين لا تحبذ القيام به طوال أيام حياتها. فمشكلة سين أنها لم تكن تعلم ما تريد القيام به. ففي السنوات الأخيرة عملت في مجالات عديدة، من موظفة استقبال في فندق إلى مساعدة في مشتل زهور، ثم في محل للوازم الأفراح لمدة قصيرة من الزمن، بالاضافة إلى أعمال الخدمة في المطاعم ايضاً. ثم تدربت لتقوم بأعمال طباعة الاعلانات لأحد المسارح. وعرفت سين يقيناً أنها لا تصلح للقيام بعمل كهذا، فبعد أن طبعت مئات الاعلانات داعية الناس فيها إلى حفلات ترافالجار، استشاط مديرها غضباً من اسلوبها الفاشل، وفي اعتقادها أن بعض البحارة ممن لبوا الدعوة لم يكونوا هم أيضاً سعداء بالحضور. ومن الواضح أنه تدريب استغرق فترة قصيرة من الوقت. هذا ما كانت عليه حال حياتها المهنية، ولكن بعد أن امضت امسية كهذيان المرضى، تساعد مديرها في تقديم الأطعمة خلال احدى حفلات العشاء الخاصة في شقة احد وجهاء المجتمع، في تلك الليلة، قررت سين أن تحسم موقفها

في ما يتعلق بتلك الوظيفة خصوصاً، وبعملها في الشركة عموماً، بعد أن بدأ مديرها يرمي السكاكين في أرجاء الشقة. عرفت سين وقتها ان مشكلة هذا الرجل ليست في طباعه الغريبة، بل في عقله!

وجدت سين نفسها عاطلة عن العمل من جديد وكان عليها أن تدفع ثمن الإيجار والفواتير إلى جانب التفكير في تمويل حياتها المهنية. واستعرضت كل الأعمال التي قامت بها بالتفصيل فوجدتها اعمالاً غير منسقة واعتباطية. ولكن عندما جمعتها كلها من جديد لاحت لها فكرة «النعمة التامة» من بين الانقاض. وكالة الزفاف الكامل... وجدت لتمحو آثار التعب والدموع عن العروس وعائلتها... ولكن هل كانت تعني الدموع؟

لم يكن هذا النجاح في يوم وليلة، فبعد مضي ثلاث سنوات على إنشائها للوكالة، حافظت سين على استمرارية العمل من خلال قيامها بتحضير مآدب العشاء في المناسبات. إلى جانب اعداد بطاقات الافراح، كي لا تلتزم بمهام اخرى كثيرة تكون غير مجدية. ففي الغالب كانت سين في إنتظار «فرصة العمر» كما تدعوها جيني، ذلك الفرح الذي يتكلم عنه المجتمع طويلاً، ويظهر من خلاله اسمها في مثل هذه الحلقات الاجتماعية، وكم تمنت أن تغدو وكالتها معروفة حالما ترى المجتمعات المخملية كم أن عملها متقن.

بدا لها أن فرح آل هاركورت هو «فرصة العمر التي لطالما تمنتها.» جيرالد هاركورت، رجل في الاربعينات، كان احد الضيوف في عرس نظمته سين خلال عطلة الأسبوع

المنصرم. كانت العروس ابنة احد اصدقاء جيرالد في العمل، قامت بالتحضير لحفلة العرس مع تلبية متطلبات العروس، من طباعة بطاقات الدعوة إلى تنسيق الوان الزهور الرائعة في باقة العروس. هذه الباقة التي التقطها عندما رمتها العروس إلى الحشد المتجمع وراءها قبل أن تمضي في رحلة شهر العسل التي اعدتها سين للزوجين السعيدين.

قدم جيرالد باقة العروس لإحدى فتيات الشرف مرفقة بابتسامة ساحرة. وسأل سين عن «النعمة التامة» موضحاً لها أن ابنته الوحيدة سوف تتزوج لاحقاً خلال هذا العام، وان زوجته قد توفيت منذ اكثر من اثنتي عشرة سنة، إلا أن ريبيكا، أي ابنته، تجد أن الأمر كله اشبه بوجع رأس تعاني منه وحدها. غمرت السعادة سين لطلبه هذا، بينما كانت هي تساعد في التنظيف. ووجدت نظراته الطويلة المتميزة، وشعره الداكن المتموج بخصلات رمادية، وعينيه الزرقاوين الدافئتين في وجه معافى وسيم إلى جانب قوام مديد في بدلة من ثلاث قطع ارتداها خصيصاً للمناسبة، إنها أكثر من أن تسميها جاذبية عادية. انها فرصة العمر، فكرت سين. وكان من دواعي سرورها أن تأتي بنفسها من مكتبها إلى منزله... فهي لم تكن تستطيع تحمل نفقات الايجار في لندن على حساب عملها، وحضورها إلى منزل هاركورت، لتتكلم مع الابنة شخصياً بناء على موعد حضر له جيرالد حين تكلم مع ريبيكا عن الموضوع. ولكن ماذا لو كانت فتاة الحديقة هي ريبيكا هاركورت. وتولد لدى سين احساس بأن هناك مفاجأة غير سارة في ما يتعلق بهذا

الزواج. هذا من دون ذكر العريس وهو مثل اغلب العرسان، فقد بدا أنه باق بعيداً عن وجع الرأس بما فيه الكفاية، بشأن هذا الزفاف بالفعل.

كانت سين لا تزال تقف هناك تنظر في إتجاه الحديقة، حين فتح باب البناء الخشبي من جديد، ولكن بدا ظاهراً من حالتها المزرية أنها كانت تبكي بغزارة. والقت نظرة حزينة أخيرة في إتجاه البناء الخشبي وهرعت عبر الحديقة إلى المنزل. ليست عروسا سعيدة! التفتت سين متنهدة وهي مقتنعة تماماً بأن زيارتها اليوم إلى هذا المكان ذهبت سدى. وقطعت افكارها عندما رأت باب الغرفة يفتح ليدخل شخص. لم تكن ريبيكا هاركورت... بل كان جيرالد نفسه. حياها بحرارة مرحباً، يرتدي احدى بدلاته الخاصة بالعمل ويبدو شديد الوسامة والكياسة.

قال متأسفاً: «إنني شديد الأسف لتركك تنتظرين.» وعبر الغرفة في إتجاهها. واضاف عابساً: «ولكننا نجد صعوبة في العثور على ريبيكا.»

لمست سين ذراع جيني عندما أحست أن مساعدتها على وشك البوح بأمر ظهور ريبيكا في الحديقة، فريبيكا هاركورت لم تكن تريد أن يعلم والدها بأنها كانت في أي مكان من الحديقة. هذا ان لم تكن سين مخطئة في تقديرها، إلى جانب أن البستاني الشاب والوسيم هو أيضاً لا يريد! قد تكون سين على خطأ، طبعاً، لكن بطريقة ما شكت بالأمر.

ردت سين بنعومة: «هذا حسن تماماً، فقد كنا نتأمل بيتك الرائع» ولكن في الواقع لم تعر أمر المنزل كثيراً من الملاحظة. على الرغم من انها شاهدت الأناقة الكلاسيكية

للغرف من مفروشات اثرية ولوحات عصرية معلقة على الجدران وزخارف تدل على الثراء الفاحش الذي كانت تعيره عائلة هاركورت الكثير من الاهتمام. هذا كله كان في غاية الجمال إلا أنه لم يكن يهم سين في شيء.

بدا جيرالد مسروراً بملاحظتها متطلعا إلى ما حوله بتقدير. كان من الواضح انه رجل يتمتع بما تستطيع الثروة أن تقدم له. وبينما كانوا يتابعون حديثهم عن جمال المنزل ومحتوياته، قطع صوت رجل حديث جيرالد متسائلاً: «ألن تعرفنا يا جيرالد؟» كان الرجل ذو صوت حريري ناعم. صوت عرفته سين على الفور.

لكن هذا مستحيل. ليس هنا. ولماذا هنا؟ تساءلت بفضول وهي تعلم أنها لا يمكن ان تكون مخطئة، إذ انها تستطيع معرفة ذلك الصوت في أي مكان. إنه صوت وولف ثورنتون.

لم تستطع الحراك مع أنها حاولت ولكن ما من عضلة واحدة في جسمها بدت أنها ستطيعها في هذه اللحظة. احست بأن قدميها مثل أثقال حديد غرست في السجادة. وجسدها ساكن ومشدود كأنه تمثال، وعرفت أن وجهها قد اصبح شاحباً شحوب المرمر، ورأسها مشدوداً بتوتر، وأن عينيها مسمرتان على نقطة ما فوق المدفأة. حاولت أن تتذكر ماذا ترتدي اليوم. ماذا ترتدي؟ وما الفرق في ذلك؟

وولف ثورنتون كان يقف في مكان ما وراءها، وشكت بأنه سوف يكون سعيداً برؤيتها كما هي سعيدة برؤيته. هل تغيّر؟ هل تغيرت؟ لقد مضت سبع سنوات منذ أن رأته للمرة الأخيرة. بالطبع لقد تغيرت!، فشعرها، لم يعد ذلك الشلال

الذهبي المموج باللون الفضي مثل القمر في الليل، كما كان وهي في العشرين من عمرها، ولكنه مقصوص إلى حدود كتفيها بتسريحة متماوجة تجعله يبدو كثيفاً، فهكذا تستطيع ترتيبه بشكل افضل. وعيناها البنفسجيتان لم تعودا بريئتين وغير مكترثتين. ولكن باقي قسماتها بقيت كما هي بالطبع. أنفها القصير والفم الكبير المبتسم، والوجنة المشدودة بحزم. ولا تزال تملك بعض الملابس التي امتلكتها منذ سبع سنوات خلت، إذ انها لم تستطع استبدالها وهكذا تستطيع التأكد من أنها لم تكسب أي زيادة في الوزن.

قال جيرالد محيياً الرجل الآخر: «سعيد أنا الآن لأنك استطعت المجيء، فأنا نفسي قد اتيت من المكتب منذ برهة ومع أننا قررنا أن نلتقي هنا بعد كل ذلك، فان ريبيكا على ما يبدو قد قامت بإحدى اختفاءاتها تلك من جديد.» مجيزا لنفسه القول. قاطعه الرجل الآخر بنعومة: «سوف تظهر، هكذا تفعل دائماً».

آه، يا إلهي، ذلك الصوت، احست بقشعريرة في جسمها وبموجات من الرعب تجتاحها الآن. آخر مرة رأت فيها وولف ثورنتون اوضحت له تماماً ماذا تفكر فيه ولم يكن هناك من سبب واحد لها للتيقن من أن السنوات الماضية التي مرت من دون أي اتصال بينهما، قادرة على تغيير مشاعره تجاهها.

هل يعقل أن يحدث لها هذا؟ طبعاً، فوولف يدير صناعات آل ثورنتون، وجيرالد هاركورت يدير شركته الخاصة بنجاح كبير، فَلِمَ لا يكون هذان الرجلان صديقين؟ ولكن،

لِمَ كان على هذين الرجلين أن يتقابلا هنا اليوم، وفي هذا المكان بالذات؟ لاحظت سين أن جيني تنتظر عند الباب، فما زال وولف يتمتع بتلك الجاذبية البدائية التي تجذب النساء إليه، والتي رأتها سين مكرهة. إنه ذلك الأمر الذي تحققت منه سين والذي كان السبب في تحطيمها، والأدهى أنه كان يعرف كيف يستفيد منه.

ادارت سين بحزم وجهها، وقد علقت انفاسها بحنجرتها، إلتقت وولف للمرة الأولى بعد سبع سنوات. لم يتغير البتة، فشعره الأشقر الداكن طويل لدرجة أنه لا يتناسب مع الموضة السائدة. وبعض الخصلات الناعمة تغطي جبينه. عيناه العسليتان محاطتان بأطول أهداب رأتها سين في حياتها. وانفه الكبير الشامخ ولكن فمه تغير ولم يعد كما كان ـ لاحظت ذلك مقطبة جبينها ـ في الماضي كان فمه جذاباً، أما الآن فلا.

لقد اصبحت تعابير وجهه تنم عن الحزن، وبدا أنه قليلاً ما يبتسم، والخطوط بجانب انفه وفمه لم تكن بسبب الابتسام، بل من القسوة التي حددت كل قسمات وجهه. وعندما حدقت سين فيه جيداً، ادركت أن عينيه لم تعودا دافئتين بتاتاً، ولكنهما قاسيتان وغير مكترثتين كالذهب الذي تشبهانه تماماً.

لقد بدت عيناه قاسيتين اكثر عندما احس بنظرات سين المنصبة عليه، وللحظة بدا على ملامحه أنه تعرف عليها على الفور. ورق فمه اكثر واطبق فكيه بقوة وتوجهت نظرات عينه الفولاذية نحوها بتحد. كان في الماضي انساناً مجبولا بالرقة والحنان، ونعومة ملامحه كانت تجعل من

الصعب على أي كان تحديد عمره... أما اليوم فهو يبدو في الخامسة والثلاثين بدون ادنى شك وعلى اقل تقدير. ازدردت سين ريقها بصعوبة ولم تشعر في حياتها بالرغبة في الفرار كما تشعر الآن. وشعرت للحظة أن وولف قد يقتلها بالفعل.

تساءل وولف مسيطراً على اعصابه عندما استدار ليواجه الرجل الآخر، منتظراً أن يعرفه إلى الضيفتين. «جيرالد؟» وكأنه لا يعرفها إطلاقاً! رفضت أن تصدق أنه قد نسيها. لا بد انه تمنى ذلك ولكنها عرفت من ردة فعله للحظة خلت، عندما نظر إليها للوهلة الأولى بأنه لم يستطع نسيانها.

قال الرجل الأكبر سناً مبتسماً ببساطة، غير واع مطلقاً للتوتر السائد في الغرفة: «آسف وولف» أضاف بخفة: «هذه لوسيندا سميث من وكالة النعمة التامة، ولكن اصحابها يدعونها سين كما أكدت لي.»

بدا أن وولف لا يجد أي روح دعابة باسمها او حتى بشخصها! ولكن نظرته المستفسرة التي القاها نحو الرجل الآخر، بدت متسائلة عن مدى قرب جيرالد منها باعتباره احد اصدقائها.

لقد كان سؤالاً مثيراً، فمع دعوته لها للحضور إلى هنا عندما تحادثا يوم السبت الفائت، قام جيرالد بدعوتها للعشاء خارجاً ايضا.

رحبت بالموضوع الأول إلا أن الموضوع الثاني ارتأت تأجيله لحين قدومها إلى منزله. ولكن، لم يخطر على بالها اطلاقاً أن وولف ثورنتون سيكون حاضراً عندما يطرح ذلك

الموضوع الثاني. ففي الحقيقة، كانت تستبعد دائماً وبشدة أي لقاء مع وولف مجدداً. وعرفت الحاضرين على مساعدتها مشددة على الأمر: «إنها مساعدتي جيني هاريسون.»

بدت جيني ممتنة لسين لتعريفها لهما. فمع كل الانتباه الذي أعاره وولف إلى سين، إلا أنها حفظت رباطة جأشها، حتى أن جيرالد بأدبه الساحر رحب بجيني.

لم يكن شعر الفتاة يضاهي شعر ريبيكا هاركورت النحاسي، بل كان ذا لون خمري يتناسب مع بشرتها الشاحبة. مسكينة جيني تبدو أصغر بكثير من سنوات عمرها الثماني عشرة لأنها كانت مسرورة لوجودها برفقة هذين الشخصين المميزين. وولف ثورنتون ليس رجلاً مهذباً، فكرت سين بخفة. فقد تعمد اهمال جيني ونظر إليها بقسوة وفظاظة. ومن الواضح أن جيني كانت تشعر برهبة من هذا الرجل الذي كان يبدو قاسياً ومتوحشاً. إلا أنها انجذبت إليه. هذا إلى جانب أنها كانت تبدو مهتمة به من دون ريب.

أجاب وولف بنعومة: «آنسة سميث؟» تورد وجه سين خجلاً من تلميحه. طبعاً، ففي آخر مرة التقيا فيها كانت على وشك الزواج من روجر كولنز. أجابت بخفة ملتقية بنظراته ولكن هذه المرة بشيء من التماسك: «إنني غالباً ما أكون فتاة شرف وليس العروس على الاطلاق، كما يبدو.»

لماذا يتابع وولف التصرف وكأنهما لم يلتقيا من قبل؟ولماذا لم يخبر جيرالد هاركورت أنه يعرف تماماً ماذا يسميها اصحابها وحتى اعداؤها ايضاً؟

وإن كان قد اندهش لعلمه بأنها لم تتزوج بعد كل هذا، إلا أنه لم يظهر ادنى إشارة إلى ذلك.

قال متحدياً بنبرة خالية من التهذيب: «ولكن اغفري سؤالي. إذا كانت هذه هي الحالة... فما هي الخبرة التي تدعين معرفتها، وكيف تخولك تنظيم حفلات الآخرين، وخاصة كحفلة زفاف ريبيكا؟»

كان يقصد اهانتها وقد حقق مبتغاه! فهو يعرف أنها تنتمي للطبقة العاملة وتكره المجتمعات المخملية إلى حد بعيد، وكان يحاول أن يعيرها بفقرها. قاطعه جيرالد برقة غير منتبه لخلفيات الحوار الدائر بين سين وولف: «دعك من هذا يا وولف، ليس من الضروري، أن تدهسك عربة لتعرف عاقبة ذلك. ففي رأيي لا يوجد فرق كبير بين أن تدهس أو تتزوج.»

قال ذلك بحزن ظاهر حيث أن الجميع نظر ناحيته بسبب طريقته في التشبيه. هزت سين رأسها قائلة: «إني لآمل أن لا تتاح لك فرصة الكلام مع احدى زبوناتي وإلا فسوف أخسر مهنتي.»

قال جيرالد مقطباً: «لنعد إلى العمل» وأضاف بشرود وهو يغادر الغرفة: «سوف اذهب للبحث عنها من جديد.»

لم تكن سين اكثر امتنانا في حياتها من جيني لاصرارها على مرافقتها ذلك الصباح كما كانت في تلك اللحظة، وإلا لكانت بقيت بمفردها مع وولف في الغرفة.

آوه، لا. هذه مبالغة. فمن غير الظاهر ان وولف قد احتاج لاستعمال قوته الجسدية طوال حياته. فما من شك أنه يستطيع بلسانه السليط أن يدمر كل من تسوله نفسه أن

يتحداه، وتحويل أي معترض إلى مرتعد بنظرة من نظراته الباردة.

ساد سكون مطبق في الغرفة بعد أن تركها جيرالد و... هل كان هذا ما رأته سين وحدها؟ وجازفت بنظرة ناحية وولف الذي بقي واقفاً يراقبها تارة بنظرات باردة حادة ويشيح طوراً بعينيه عنها. جيني الطيبة. كانت تنظر إلى وولف بعينين متأثرتين.

شعرت سين بالأسى تجاه جيني بسبب تجاهل وولف لاعجابها به، مع أنه لاحظ ذلك فجيني قليلة الخبرة ولا بد أن عواطفها تجاهه ظاهرة بما يكفي لكي يلاحظ وجودها. وما من شك في أنه معتاد على اعتبار نفسه جذاباً من قبل النساء. ولكن ما من سبب يجعله متلاعباً إلى هذا الحد.

لم تتعود رؤيته مرتدياً ثياباً رسمية كاملة كما هو اليوم. فبدلته ذات الثلاث قطع وقميصه الأبيض الناصع، مخاطان بدقة متناهية. وربطة عنقه معقودة بشدة حول عنقه. ولا يضع أية مجوهرات. فلطالما رفض أن يستعملها الرجل وافضل حلية عنده هي ساعة تلف معصمه الأيسر.

لاحظت سين بإعجاب أن يديه ما زالتا كما كانتا، يدي فنان ملهم، ومع ذلك قويتان تماماً عند الحاجة. والأظافر مقلمة بدقة.

وولف رام جيمس ثورنتون. كانت تتوقع أن تسمع اكثر عنه خلال السنوات السبع المنصرمة. ولكن الشيء الوحيد الذي سمعته هو ارتباط اسمه بصناعات آل ثورنتون. فصفحة المال والاقتصاد في الصحف غالباً ما تورد مقالات عن نجاح وتوسيع الشركة. لا بد أن اعمال العائلة

قد ازدهرت تحت رعايته، يا للغرابة! فهي لم تفكر بوولف كرجل اعمال، ولكن هذا ما لم يكن عليه قبل سبع سنوات.

قال متشدقاً بتحد: «اذاً، سين، أليس كذلك؟ سوف تقومين بهز عصاك السحرية وتجعلين عرس ريبيكا كاملاً.» احست باحمرار وجنتيها من الإهانة التي يقصدها من وراء تلميحه هذا. قالت بحزم: «اجل، اتمنى ذلك» تقدم بخطوات واسعة نحوها وقال:

«فستان أبيض واسع، كعكة تزينها الكريما، حصان وعربة لنقل العروس والعريس إلى حفلة الزفاف؟»

شحبت سين عندما استعمل كلماته كشفرات حادة بقصد جرحها، لم ينس شيئاً! وأخذت نفساً متقطعاً ثم قاطعته بحدة بينما اصابعها مطبقة إلى درجة أنها احست بأن اظافرها قد انغرست في لحمها: «ولكن تنظيم هذا الأمر في لندن على شيء من الصعوبة.»

رد وولف بصوت اجش: «أنا متأكد أنه من الممكن تدبر الأمر إذا كان هذا ما ترغب به العروس حقاً.»

ازدردت سين ريقها بصعوبة، مشيحة بنظرها عن الوجه البارد الذي لا يرحم، وقالت تسأل جيني: «يبدو اني نسيت أن احضر دفتر ملاحظاتي، هل تستطيعين أن تذهبي إلى العربة في الخارج وتحضريه لي؟»

لكن هذه المشادة مع وولف التي لم يلحظها أحد على ما يبدو، لا يمكن لها ان تستمر. ومع أنها كرهت هذه الفكرة، ولكنه إذا كان صديقاً حميماً للأسرة وزائراً دائماً للمنزل، فربما من الأفضل لها الانسحاب بدلاً من التورط في هذا

الزفاف. فهي تستطيع توفير الكثير من العناء على نفسها إذا اقتنعت بهذه الحقيقة الآن.

وافقتها جيني على الفور موجهة نظرة مشوقة نحو وولف عندما مرت بجواره لتخرج من الباب. قال وولف بإزدراء متزايد ما أن اصبحا وحيدين: «حسناً، سين.» أضاف ونظراته الفاجرة تتفحصها قاصدة اهانتها:

«كم من الوقت مضى وأنت برفقة جيرالد؟»

تنهدت تنهيدة عميقة مبدية سخطها للملاحظة وقالت: «أنا...» أضاف وولف بقصد ايلامها: «فقد ترك صديقته الأخيرة منذ بضعة اسابيع.»

همست سين رافضة اتهامه واحست باحمرار وجنتيها ولكن من الغضب هذه المرة. «أنا لست صديقته» وتساءلت في قرارة نفسها هل سيبقى الإحمرار علامة على خديها كلما تكلمت مع هذا الرجل الكريه. «لقد تقابلنا للمرة الأولى يوم السبت الفائت.» لوى وولف فمه مستهزئاً فبدت الخطوط على وجهه محفورة بعمق وأضاف بتجهم: «لا. فمن الممكن أنك لم تصبحي صديقته بعد، اصبري بضعة اسابيع! ولكن لا توهمي نفسك بأية امنيات رائعة للإرتباط به جدياً، لقد سمعت رأي جيرالد بمسألة الزواج.»

أطلقت تنهيدة متثاقلة وهزت رأسها رافضة: «إني لا أعلق أية آمال زائفة أو آمالاً من أي نوع آخر حتماً، في ما يتعلق بجيرالد، فأنا ما بالكاد أعرفه.»

رد وولف بكلام جارح وعيناه مقوستان متأملاً فيها: «من الواضح أن جيرالد عنده بعض المشاريع في رأسه لكلٍ منكما، تتعدى أمر الزفاف.»

أخذت سين بعين الاعتبار الدعوة الأولى للعشاء التي تلقتها من جيرالد، بدا لها وولف احمق لا محالة. ولكن حتى إذا كان كذلك، فانه أمر لا يعنيه إذا ما قررت هي وجيرالد المضي قدماً في علاقتهما. وكونه صديقاً لجيرالد لا يعطيه أي حق بالتدخل.

قال وولف برقة: «هذا ما لن يحدث ابداً، صدقيني.» قال هذا فيما نظراته الثابتة تقرأ أفكارها.

تراجع رأسها إلى الخلف مثل قطة تواجه ثعلباً.

كانت سين قصيرة القامة، مع حذائها الذي تنتعله الخالي من الكعب، مرتدية سروالاً أسود اللون مع سترة تناسبه وقميص بنفسجية اللون، مما جعلها تبدو نحيلة، ورقيقة. أحست بأنه يحاول أن يربكها. حسناً لن ينجح في ذلك. اخبرته بنزق وعيناها تلمعان: «علاقتي بجيرالد لا تعنيك.»

أكد لها محذراً برقة: «سوف أجعلها كذلك، يا سين.» عبست بوجهه والمرارة تملأ وجهها الناعم.

أكدت له سين: «هذا ليس من حقك، يا وولف، ليس من حقك مطلقاً.» فقال بقوة: «أنا أملك كل الحق اللعنة عليك!» ثم تابع وعيناه تلتمعان ببريق ذهبي عميق بينما كان يتقدم ناحيتها مهدداً: «أنت...»

قالت جيني بأنفاس متقطعة وهي تدخل إلى الغرفة في تلك اللحظة: «لم استطع إيجاده، يا سين.» اضافت ووجهها يتصبب عرقاً: «لقد بحثت في مقدمة السيارة وفي مؤخرتها.»

أخبرتها سين: «لقد وجدت دفتر الملاحظات يا جيني» معترفة بذنبها مدركة أنها قد أضاعت وقت جيني كما

أضاعت وقتها هي أيضاً لمحاولة التكلم مع وولف على انفراد في ظل ظروف كهذه، فالاختلافات بينها وبين وولف كانت عميقة لدرجة أنه لا يمكن الإحاطة بها كلها خلال بضع دقائق من التحدث إليه على انفراد. واضافت: «لقد اكتشفت انه في حقيبتي، بعد ان تركت الغرفة على الفور. ولكن عندما عرفت هذا لم استطع اللحاق بك لإخبارك.» وابتسمت معتذرة للفتاة الأخرى: «إنني آسفة.» مع أنّ جيني لم تكن تنظر إليها أبداً، فقد كانت عيناها منتجذبتين ناحية وولف.

أدارت سين رأسها بامتنان ناحية الباب عندما فتح ليدخل منه جيرالد، وتلحق به ريبيكا التائهة. تحول ارتياح سين إلى انزعاج عندما اكتشفت أن ريبيكا هي فتاة الحديقة. كل علامات البكاء الحديثة العهد أزالتها بواسطة الزينة المتقنة. ريبيكا هاركورت، قد تبدو جميلة بدون كل هذا الطلاء. فبشرتها مشدودة وقسماتها ناعمة ونضرة وإن كان هناك من ملامح حزن عميق في عينيها الزرقاوين فإن سين هي الوحيدة التي أحست به.

«إنني جد آسفة إذ تركتك تنتظرني.» صوت ريبيكا كان مبحوحاً خافتاً من البكاء، أو أنه هكذا بدا؟ لم تكن سين متأكدة.

أجابت بارتباك: «لم أعلم أنك هنا.» ولكن سين ارتبكت فالملاحظة لم تكن موجهة إليها، فريبيكا كانت تنظر إلى وولف حين كانت تعبر الغرفة لتصل إلى جانبه.

«مرحباً عزيزي» ورفعت ريبيكا جسدها لتصل إلى وجه وولف حيث طبعت قبلة خفيفة على وجنته. «إنني ممتنة لأنك

استطعت المجيء من المكتب، وهكذا يمكن لكلينا أن يتكلم مع الآنسة سميث عن ترتيبات الزفاف.»

ادارت رأسها نحو سين مرحبة بها بابتسامة. حدقت سين بها. فهي لن تستطيع الرد حتى لو حاولت. وولف هو عريس ريبيكا..!

قال جيرالد متأسفاً: «أتعرفين يا سين، لقد اكتشفت فجأة عندما ذهبت ابحث عن ريبيكا أنني لم اعرفك على وولف.» وعصر يدها معتذراً لعدم لياقته «هذا وولف ثورنتون، خطيب ابنتي.»

كان وولف العريس!

الفصل الثاني

تنهدت جيني التي كانت تجلس إلى جانب سين في طريق العودة إلى المكتب بعد أن انتهتا من زيارة آل هاركورت وقالت: «بعض الناس لديهم كل الحظ.»

تساءلت سين بشرود: «ماذا؟» فهي ما تزال ترتعد إلى درجة لا تستطيع معها أن تخمن إلى ماذا ترمي جيني. فقد أمضت حوالي الساعة مع العروسين السعيدين تحاول أن تتفق معهما على تحضيرات زفافهما الذي سيجري في شهر آب ـ اغسطس. وقد حاول وولف أن يبدو موضوعياً من غير أن يثير أي محاولة للإحتكاك بها. وتنفست جيني نفساً عميقاً آخر، وقالت: «ريبيكا ثورنتون، ليس من العدل أن يكون لها والد رائع وعريس جذاب تتهافت النساء عليه.»

لم تستطع سين أن تمنع الابتسامة الخفيفة من الظهور على فمها. قائلة بحسرة: «أنا لا أعتبر أنه من المهم أن يكون الأب وسيماً.» ردت جيني برضى: «ربما لا» ولكنها تابعت بتحسر: «ولكن وولف ثورنتون شيء آخر.»

«انه شيء آخر...» قالت سين هذا مع علمها بحقيقة وولف إلا انها لم ترد ان تخبر جيني بشيء.

تساءلت جيني مفكرة: «ولكنني أتساءل أين هو موقع البستاني من كل ذلك.» لم تستطيعا بالتأكيد تخيل مدى أهمية العلاقة بين ريبيكا والبستاني الشاب. وحتى من جهة ريبيكا على الأقل. فدخول جيرالد هاركورت إلى غرفة

الجلوس، حول انتباههما من الحديقة إلى المنزل. ولم تريا البستاني يخرج من الكوخ. ولكن ما شاهدتاه في البداية، كان كافياً لتعرفا أن البستاني له دور في الموضوع.

لو كان أي إنسان آخر هو العريس، لما ترددت سين للحظة، ولكن لا دخل لها في اختيار العروس. كل ما يهمها هو أن تبدو العروس متأنقة يوم زفافها وتمضي أمور الزفاف على ما يرام. ولكن وولف هو العريس!

لم تستطع أن تصدق ذلك! ريبيكا كانت شابة صغيرة في العشرين من عمرها، وولف في الخامسة والثلاثين من العمر. رجل ناضج، وله خبرة في الحياة. ولكن لماذا يتزوج من فتاة صغيرة تكاد تكون من عمر ابنته؟ والأغرب من هذا أن ريبيكا تقيم علاقة مع البستاني في منزل والدها! لم تشك سين للحظة في أن وولف سوف يثور بشدة إذا ما اكتشف هذا الأمر. ولم يكن في نية سين أن تطلع وولف عن الأمر. ولكن ماذا إذا أخبرته ريبيكا بنفسها؟...

لقد راقبت سين الخطيبين. وبدا أنه لابأس بهما كعاشقين. فقد كان وولف يعامل ريبيكا بنفس الطريقة التي يعاملها بها والدها. وكانت ريبيكا تسأل وولف عن كل شيء حتى من أين تشتري فستان الزفاف! لو كانت سين مكانها لما استشارته.

رأت سين أن زواج وولف وريبيكا هو في ورطة منذ الآن. إنها حقاً فكرة محبطة عن زواج لم يبدأ بعد. فعلى كل حال كانت زيارة سين لمنزل آل هاركورت من أصعب الأوقات التي مرت بها في حياتها. حيث أنها قلقت من فكرة أن وولف قد يخطر له أن يطلع الآخرين على علاقته

الماضية بسين. وما من شك في أنها ستحرج، لأنهما تصرفا كغريبين في البداية. ولا بد ان الأمر سيحرجه هو أيضاً. ولكن بما أن سين تعرفه حق المعرفة، فوولف لا يأبه لما يفكر الناس به وهذا ليس في صالح سين. ومضي الوقت في ذلك المنزل زاد من توتر سين، إذ أن وولف لم يقل شيئاً. خاصة وأنه أخذ يسترضي أكثر كلما لاحظ توتر سين يزداد. بدا مستمتعاً بقلقها ولم يبعد نظراته عن وجهها البارد.

عندما همت سين وجيني بالإنصراف لاحظت سين من تعابير وجه وولف أن هذا لن يكون لقاءهما الأخير، فهي على ثقة من أنها سترى وولف لاحقاً لا محالة.

قالت جيني: «ربما لا دخل له على الإطلاق» وعندما لاحظت عدم استجابة سين للحوار اضافت: «وعلى كل، ما من امرأة في كامل عقلها تنظر حتى مجرد نظرة إلى رجلٍ آخر عندما تكون على وشك الزواج من وولف ثورنتون.»

جفلت سين مرتعبة، أي امرأة، بالتأكيد! ولكن كم كانت جيني ساذجة. فهي لا تستطيع أن تدرك بعد، أن اختيار شريك الحياة يتطلب أكثر من الوسامة. ولكن السؤال هو: هل أدركت ريبيكا هذا الأمر، خاصة وأنها أصبحت على وشك الزواج؟

أبعدت سين عن تفكيرها زواج هاركورت ـ ثورنتون، حالما وصلت إلى المكتب. فلقد كان لديها عمل يجب أن تنجزه وما كانت لتستطيع ذلك ووولف في تفكيرها. أمضت سبع سنوات من دون أن تفكر فيه حتى في الأوقات الصعبة. كانت تنجح في ابقائه بعيداً عن تفكيرها. ولا يحق له الآن أن

يقتحم حياتها وهي على مرمى حجر من تحقيق حلم النجاح الباهر. ولكن من سوء الحظ أن يكون عرس وولف وريبيكا هو نقطة التحول في حياتها.

أمسكت بسماعة الهاتف آلياً عندما رن جرسه لحظة دخولها إلى المكتب وتوترت فور معرفتها المتكلمة، لقد عرفت عن نفسها قائلة: «ريبيكا هاركورت.»

تساءلت سين بتحفظ: «بماذا أستطيع أن أخدمك آنسة هاركورت؟» مع أنها تعودت ربط أواصر الصداقة مع كل العرائس اللواتي تعاملت معهن. ومن خلال تجاربها عرفت سين أنه من الأفضل لكلٍ منهما ومن الأسهل إن كانتا مستعدتين للكلام بصراحة.

طلبت منها الفتاة متوسلة: «سين أرجوك ما تستطيعين لي هو...»

«نعم؟» أجابت سين حين لاحظت ارتباك الفتاة وأضافت بخفة: «إذا كنت لا ترغبين بالتعامل مع وكالتي بعد كل هذا، أفلا تشعرين بأنني قد أهان.» فإذا كان الأمر كذلك، سوف تشعر بارتياح إذا وجدت نفسها خارج الموضوع. «ربما وضعك والدك في موقف حرج.»

ترددت ريبيكا محاولة أن تؤكد لها أمراً: «ليس الأمر كذلك. فأنا متأكدة من أن مساعدتك لي ستكون قيمة جداً.» وتحشرج صوت ريبيكا ولم تستطع أن تكمل.

رجتها سين ثانية: «نعم؟» ولكن بلطافة أكثر هذه المرة شاعرة بقلق الفتاة. وكان لدى سين شعور بأن للأمر علاقة بالبستاني خاصة بعد أن قابلته ريبيكا في الكوخ الخشبي، وهذا الأمر مهم.

قالت ريبيكا وكأنها وجدت الكلمات المناسبة: «الأمور تجري بسرعة، أنا متأكدة من أنني لست أول عروس تجدينها متوترة قبل الزواج. إنني أريدك أن تتمهلي بترتيبات الزفاف، فلا يوجد داعٍ للعجلة.» ذكرتها سين بهدوء: «موعد الزفاف بعد أربعة أشهر فقط.»

تابعت سين مشفقة عليها: «ما رأيك لو التقينا نحن الاثنتان على انفراد وتحادثنا.»

فكما قالت ريبيكا، اعتادت سين على مفاجآت اللحظة الأخيرة ولكن أربعة أشهر لا تعتبر «آخر لحظة.» إلى جانب ذلك، تملكها شعور بأن في الأمر خطورة أكبر مما يبدو. أجابت ريبيكا بامتنان: «آه، نعم، سيكون ذلك رائعاً عندها أستطيع أن أشرح لك.»

شككت سين بذلك. فلقد تملكها شعور بأن ريبيكا تحاول أن تنكر الحقيقة حتى عن نفسها.

«ما رأيك لو آتي إلى منزلك غداً ونستطيع أن...»

قاطعتها ريبيكا بحدة: «كلا، ليس هنا. ما أقصده هو...» وحاولت ريبيكا أن تتكلم بشكل طبيعي: «لم لا نتناول طعام الغداء معاً في مكان ما؟ فهذا على الأقل يجعل اللقاء مريحاً؟» وتكهنت سين ـ أنه كلما كان مكان اللقاء بعيداً عن والدها كان أفضل.

قبلت سين: «هذا جيد بالنسبة لي وماذا عن...» وهنا قطعت كلامها فجأة عندما فتح باب مكتبها من دون إنذار، وحملقت بوولف بينما كان يقف بغطرسة عند الباب. وشدت بقبضة يدها بعفوية على سماعة الهاتف، وفاض الدم من وجهها وجف حلقها. لِمَ لم تستطع السيطرة على نفسها؟ لقد

عرفت سابقاً أن وولف [illegible] بوداعة عودتها إلى الظهور في حياته أياً كانت الظروف.

فبعد غياب سبع سنوات لا بد وأن يظهر عدم رضاه. لهذا بقي هادئاً عندما كانا معاً في منزل آل هاركورت. وداعة؟ وولف لم يقبل أي أمر بوداعة طوال حياته. وشعرت سين أن ريبيكا لا تريد أن يعرف وولف عن مكالمتها الهاتفية. وبما أن الخط لم يقطع بعد بين الفتاتين، ولم يكن في نية سين أن تطلع ريبيكا على وصول وولف إلى مكتبها، وبدون أن يعرف وولف مع من تتكلم، لم تعرف سين ماذا عليها أن تفعل حينئذ! شاهدت وولف يتقدم داخل المكتب بعد أن أغلق الباب بإحكام، ووقف أمامها بتعجرف، بينما كان ينتظر أن تنتهي المكالمة بأسرع وقت.

أجابت سين قائلة: «يبدو الغداء فكرة جيدة» وأضافت بخفة بينما لاحظت التوتر في صوتها. «ربما تستطيعين أن تحددي إسم مطعم يكون مناسباً لكلينا؟»

راقبت وولف وهو يتجول في أنحاء المكتب، وبين الحين والحين يلتقط بعض الأشياء يتفحصها ويعيدها من دون اهتمام. فلقد كان في مكتبها بعض كتب الزفاف، وبطاقات الأفراح، وجدران مكتبها مزينة بورق الحائط بلوني الزهر والكريم التي ألصقتها سين بنفسها، إذ لم تستطع أن تدفع تكاليف خبير في هذه الأمور. فلقد دفعت أجرة المكتب لسنة كاملة! أظهر وجه وولف المتعجرف درايته بأمر فرش المكتب، ورفع حاجبيه متعجباً، فسين كانت لا تزال تمسك بسماعة الهاتف.

أرادت سين بامتنان أن تنهي المكالمة، لو أن ريبيكا

تقول فقط إسم المطعم. فهي تريد أن تنهي هذه المقابلة مع وولف بسرعة. وبعد ذلك مقابلتها مع ريبيكا التي أحست أنها ستذهب سدى هي أيضاً، بالتأكيد وولف لا يريدها أن تتدخل بأمر زواجه من ريبيكا.

من حسن الحظ أن جيني ذهبت لتناول الغداء بعد عودتهما، إذ أنها ستشتعل بالفضول لرؤيتها وولف في المكتب بعد أن قابلتاه لتوهما في منزل خطيبته. فلم يكن في نية سين أن تقول للفتاة ان وولف أراد محادثتها بأمرٍ ما ولكن بعيداً عن أعين الرقباء.

أجابت ريبيكا أخيراً: «ماذا عن الريتز؟» كان من المحتمل أن ترفض سين ولكن مع رؤيتها لوولف يتجول في المكتب فلا بد من القبول.

ولكن الريتز لم يكن مناسباً لهما، أو على الأقل مناسباً لميزانية سين، وبما أنه غداء عمل، فهي لا تستطيع أن تضيع وقتها، وحتى إذا ما رفضت قد تخاطر بالكشف عن هوية ريبيكا.

«عظيم.» وافقت سين وحددت موعد اللقاء عند الساعة الثانية عشرة والنصف وأعادت السماعة إلى مكانها. والتفتت ناحية وولف الذي كان يتفحص جدول أعمالها للأسابيع القادمة.

التفت ناحيتها فجأة وأخذت نظراته الثاقبة تحدق فيها بإمعان، وأحست سين بخصلات شعرها الفضية تتطاير فوق كتفيها، وبدا لون شعرها الزاهي فاتحاً أكثر على قميصها، كانت شفتاها بدون أحمر شفاه، فقد شربت للتو فنجان قهوة اعدته لنفسها. لم تكن هذه هي الطريقة التي أرادت بها

رؤية وولف وما كانت تتوقع رؤيته سريعاً هكذا. ولكن كان عليها ان تعلم أن وولف يفعل دائماً غير المتوقع. وارتد فمها إلى الوراء عندما التقت نظراتها بنظراته الباردة.

فتحدته متسائلة: «ماذا تفعل هنا يا وولف؟» من حسن حظها ان صوتها لا يظهر كم كانت متضايقة ومتوترة من وجوده. فهما وحدهما تماماً هنا. ولم يكن أمام سين ثمة خيار آخر.

لوى فمه مبدياً خطوط وجهه وقال متشدقاً بسخرية: «بالتأكيد انت لا تعتقدين أن حديثنا قد انتهى؟» واولاها نظرة ملؤها الشفقة على سذاجتها.

تنفست نفساً متقطعاً وقالت: «وأي حديث هذا الذي تقصده؟» ثم قوست حاجبيها متسائلة: «الذي جرى هذا الصباح أم الذي كان منذ سبع سنوات؟»

أخرج الكلمات من بين شفتيه بقسوة: «الإثنان مترابطان بالتأكيد!» وحاول أن يسيطر على أعصابه بقوة كي لا يستعمل قوته الجسدية ويسحبها عن كرسيها ويوقفها على قدميها بقوة ويهزها إلى أن تصطك أسنانها.

أرغمت سين نفسها على البقاء جالسة، في حين كانت تريد حقيقة أن تقفز عن الكرسي وتجري وتجري إلى أن تتأكد من أن هذا الرجل لن يمسك بها. ولكن من تجربتها السابقة معه عرفت أنه عندما يريد الإمساك بأحد فإنه لا بد سيفعل.

وهكذا بدلاً من الهرب أظهرت حركة لا مبالية من رأسها قائلة: «أنا لم أفهم ما تعنيه.» وكانت أصابعها تطبق بإحكام على القلم الذي كانت تستعمله حين اتصلت بها ريبيكا.

وقطب وولف وجهه فيما عيناه تتأملان وجهها الشاحب وقال: «هل كان هذا جيرالد على الهاتف الآن، يهيىء لموعد غداء معك غداً؟»

لم تتوقع أن يغير الموضوع كله حتى أنها للحظة اختل توازنها من التحول المفاجىء. ولكن علامات الارتياح ظهرت على وجهها. قالت له: «إذا كان هو أو لم يكن، فلا علاقة لك بهذا يا وولف!» قالت ذلك وهي واقفة. وهذا لم يكن في صالحها فهو أطول منها بقدم ولكنها أصبحت تستطيع التحرك إذا ما استدعى الأمر الهرب. وأضافت مندفعة: «أستطيع تناول الغداء مع من أرغب.» أيقنت أنه لم يتخيل ولو للحظة أن ترتيب موعد الغداء هو مع ريبيكا هاركورت ولم يكن في نيتها أن تطلعه على الأمر.

وضع وولف يده بسرعة حول خصرها، ولكن لا. فهي لم تفكر بوولف هكذا منذ سبع سنوات ولم تسمح لنفسها بهذه السعادة، ولن تفعل ذلك الآن، وهو على وشك الزواج من امرأة أخرى، فهو الجنون المطبق! نهرته بقوة: «دعني يا وولف» من دون أن تستطيع النظر في وجهه الجميل.

عاد فيض من الذكريات لتؤلمها من جديد، وبقوة لم تكن تعرف بوجودها، تخلصت من قبضته. كان الوجع الآن جسدياً وليس عاطفياً. فهي تستطيع التعامل مع الوجع البدني بسهولة أكثر من الوجع العاطفي الذي سببه لها هذا الرجل ذات مرة.

عرفت أن الندوب على يديها سوف تختفي ولكن ندوبها الداخلية سوف تبقى.

سألته بتعجرف وتحد: «كيف حال عائلتك، وولف؟»

وتجلت نظرات عينيه وهو يقول: «عائلة؟» ردد برقة مبطنة «هناك أمي، وبربارة الآن فقط؟» فقط أمه وبربارة؟ ليس هناك حاجة لشخص آخر فالإثنتان رائعتان لوحدهما!

أضافت بتعبير إستفهامي: «وكيف حالهما؟»

لوى وولف فمه قائلاً: «هل حقاً تهتمين؟»

كلا. انها لا تهتم على الإطلاق، ولكن على الأقل ذكرهما قد أبعد انتباهه عن المكالمة الهاتفية التي قاطعها منذ قليل.

أجابت بصدق: «كلا،» ولم تجفل من نظراته العميقة الخطرة، وتذكرت جيداً كم أن هاتين المرأتين قد كرهتاها فيما مضى، وكانتا تظهران كرههما لها في كل مناسبة. وهي متأكدة أنهما ما كانتا لتكترثا لحالها الآن بقدر ما تكترث هي بهما، بالإضافة إلى أن كلوديا ثورنتون كانت الرافضة الأولى لها. ولم تكن راضية إطلاقاً عن علاقة سين بولدها. وبربارة أظهرت نوعاً آخر من التهديد مختلفاً كلياً. هل ما زالت؟ إذا كانت لا تزال، فإن لدى سين دافعاً أشد للشفقة على ريبيكا الآن.

همس وولف: «لا اعتقد ذلك.» فيما كان غضبه المكبوت في داخله يوشك ان ينفجر.»

اطلقت سين تنهيدة: «ماذا تريد مني، يا وولف؟ وأضافت مقطبة: «فإعادة الماضي لن تساعد أحداً، يجب عليك التركيز على مستقبلك.»

عاد تفكيرها من جديد إلى ريبيكا والمكالمة الهاتفية الغريبة التي تلقتها منها. كان وولف يراقبها، وقال أخيراً برقة: «وماذا تعنين بذلك؟»

لم يكن في نية سين خداع ريبيكا، وأردفت بغير اكتراث: «هل تحب ريبيكا هاركورت؟» تنفس نفساً عميقاً وقال: «وما دخلك أنت بعواطفي تجاه ريبيكا هاركورت؟»

بدا أن وولف يعتقد أن في استطاعته العودة إلى حياتها من جديد بعد سبع سنوات، متظاهراً بالبراءة، ويطلب منها ما يريد. ولكنها لن تعطيه نفس الفرصة!

«عواطف وولف» ازدرته بسخرية وقالت مقطبة الوجه: «أنا لا أصدق أنك تملك شيئاً منها تجاه ريبيكا، على الأقل ليس من نوع العواطف التي يجب أن تملكها تجاه المرأة التي تنوي الزواج منها.»

تحرك وولف عابراً الغرفة بخطوات خفيفة ليقف على بعد خطوات منها. وسألها: «ماذا تعرفين أنت عن ذلك أو متى عرفت أو اهتممت بما أحسه أنا؟»

هذا لم يكن عدلاً. فلعدة أسابيع، أسابيع ثمينة أثرت على حياة سين، اعتقدت، أنها تعرفت على هذا الرجل جيداً. ومع ان الحقيقة أثبتت غير ذلك، فان هذا الإثبات ما كان ليأخذ تلك الأمور منها.

كانت متأكدة ان وولف لا يحب ريبيكا! إذاً لماذا يريد الزواج منها؟ لماذا لم يتزوج بربارة كما ظنت أنه قد يفعل؟

نظرت سين إلى وجه وولف والدموع تحجب وجهه عنها، وكأن هذا الحجاب قد محا عن وجه هذا الرجل كل ملامح الحدة. وعاد ذلك الشاب الذي عرفته منذ سبع سنوات. فمع أنه كان يعرف قدراته، لم يملك غطرسة هذا الغريب الذي يشبهه.

ورمشت بعينيها لازالة تلك الدموع وذهبت صورة وولف

القريب إلى القلب الذي عرفته من قبل. وبقيت صورة ذلك الرجل الذي تملأ وجهه.

ربما كان دائماً هكذا وهي كانت متورطة معه إلى درجة لم تلحظ ذلك؟ كلا! فهي لا تستطيع أن تصدق هذا. لأن كل ما شعرت به ذات مرة تحول إلى تفاهة. وهذا أمر كان مهماً جداً في حياتها.

تراجعت إلى الوراء قائلة: «نحن لا نبحث بأمري يا وولف.» وسألته بانتباه: «لماذا تتزوج من ريبيكا؟»

لوى وولف فمه ووضع يديه في جيبي سرواله، وسترته مرتدة إلى الوراء بإهمال، مظهراً شكل جسده المتناسق تحت صديريته. لقد كان وولف نحيلاً وما يزال...

رد وولف برقة وفمه ينم عن السخرية: «لماذا تعتقدين أنني سأتزوجها؟» كانت سين على وشك أن تترك حقها في التفكير بأي شكل عن علاقته بريبيكا، ولكنها توقفت متذكرة علاقة وولف العائلية بجيرالد هاركورت وعلاقة الصداقة الواضحة بين الرجلين. وقد عرفت تماماً لماذا سيتزوج وولف الفتاة ولماذا أيضاً وافقت ريبيكا على الزواج منه.

قالت بنفور ظاهر: «زواج مصلحة، يا وولف.» وهزت رأسها ثانية ونظرت صوبه باشفاق: «ماذا حدث لك؟» ورد نظرتها بنظرة جليدية وقال: «حدث لي؟»

حدقت فيه سين وكأنها لا تعرفه وكما لو أنها بالتأكيد لم تعرفه أبداً. «أهذا ما أصبحت عليه يا وولف، رجل أعمال متغطرس مثل أليكس؟»

قاطعها وولف بحدة: «دعي أليكس من هذا الأمر!» وتشنجت يداه وهو يقول: «هو ميت.»

كانت تعلم أن أخاه مات ولكنه باقٍ في حياة وولف. فأليكس كان من عادته أن يقود طائرته المروحية خاصته ويتنقل بها إلى أماكن عمله.

ولكن في احدى المرات اصطدمت طائرته بأحد النتوءات الصخرية فوق جبال كامبريان، فمات هو ومرافقه على الفور. ولكن وفاة أليكس لم تكن لتغير من كراهية وولف تجاه توسع أعمال أخيه باني امبراطورية العائلة والتي كانت تجعل وولف يرتجف من فكرة تورطه في ذلك العالم. والآن كما يبدو، ليس متورطاً فحسب، بل أصبح بارد القلب وسافلاً أكثر من أليكس نفسه.

«لا تستطيع أن تتزوج من ريبيكا فقط من أجل مصلحة العمل، يا وولف؟» سألها متحدياً: «من يقول لا أستطيع؟ أنت؟ لقد انسحبت من حياتي عند أول إشارة إلى أن الأمور ستكون صعبة لفترة، وهكذا...»

شهقت سين رافضة الاتهام: «هذا ليس صحيحاً! لم يكن أمامي أي خيار آخر. أنت...»

سألها مستفهماً: «نعم؟ أنا ماذا؟ لم أكن أستطيع أن أوليك الإهتمام الذي أردته بعد موت أليكس؟»

وأضاف متألماً: «لقد اعتقدت أنك تفهمت كيف كان الأمر.» وهز رأسه بقرف وقال: «لكنك ما تركتني مع هذا الإعتقاد الخاطىء لوقت طويل! لقد قررت أنه الوقت المناسب لإعلامي بعودتك إلى كولينز من جديد.» ولمعت عيناه ببريق الغضب وأضاف بقسوة: «هذا إذا كنت قد توقفت عن رؤيته.»

طالبته مستفسرة واللون الأحمر يعلو وجنتيها: «وماذا تعني بذلك؟» أشار وولف لا مبالياً بحركة من يده: «لقد كنت

متورطة مع كولينز قبل أن أتعرف إليك. لقد كنا قريبين... نحن... فقط لعدة أسابيع ومن الطبيعي الإفتراض أنه...»

انهى عبارته وعيناها تلمعان بشدة: «إنني استمريت بلقاء روجرز بينما كنت أخبرك بأنني أحبك. لهذا لم...»

وأردفت مزدرية بقرف: «أرجو أن تعفيني من الباقي.» فقطب وجهه متسائلاً: «يعني؟»

«يعني» وانكسرت الكلمات مع تنهيدة ثقيلة. لم تكن سين غير منتبهة للخطر الظاهر على وجهه. ولكن في النهاية ما كانت تقصده هو أنه ما من داعٍ بعد كل الذي جرى احياء الماضي مع كل ذكرياته المؤلمة. وهزت رأسها لا مبالية: «هذا لا يهم.»

«من الظاهر أنه كذلك» ثم اضاف وعيناه ما زالتا مشدودتان: «وإلا ما كنت وجهت الملاحظة ابداً.»

أمسك بكتفيها قائلاً: «أخبريني ماذا قصدت يا سين؟ لن أتركك قبل أن تخبريني.»

تطلعت نحوه بعينين معذبتين. لقد أحبت هذا الرجل كثيراً ذات يوم وكانت على استعداد لفعل أي شيء من أجله، إلا أمراً واحداً طالبها به. لقد حذرها روجر عندما بدأت تخرج مع وولف من أن الطبقة التي ينتمي إليها وولف ثورنتون تعيش وفقاً لقوانين مختلفة عن قوانينهم. ولكنها كانت متيمة في ذلك الوقت إلى درجة لم تصغ لهذه التحذيرات. لقد دفعت ثمن ذلك غالياً لمدة طويلة من الوقت بعد أن خرج وولف من حياتها.

وبدأ جرس الهاتف يرن بدون توقف. ولكنها لم تكن تريد الرد عليه، فلقد أرادت أن تعرف الإحساس الذي دفع وولف

ليلثمها بمثل تلك الطريقة. فحرارة عناقه لم تكن لتخطئها، وكذلك استجابتها الطبيعية له. ولكن عندما رفعت رأسها لتسأله عن ذلك دفعها بعيداً عنه، وعلت القسوة شفتيه.

ابتعد عنها بحركات فجائية وأمرها بقوة: «أجيبي على هذا الشيء اللعين.» ولوى فمه قائلاً: «لا بد أنها عروس فقيرة تريد الهرب من زفافها، وكل شيء يتعلق به بما فيه العريس!»

أحمر وجه سين عندما تذكرت حديثها مع ريبيكا هاركورت منذ وقت قصير. فإذا كان هناك من عروس تريد الهرب، فإنها هي!

أمسكت بسماعة الهاتف ونظرتها العميقة مركزة على وولف الذي وقف باتجاهها ساكناً ينظر من النافذة إلى الشارع. يقع المكتب فوق مخبز. في بعض الأيام تهب رائحة الخبز إلى أنف سين وهي تشعر بالجوع، هذا عدا عن أن الساعة هي الثانية والنصف ولم تتناول غداءها بعد. فاليوم ليس هو مثل تلك الأيام!

حياها صوت رجل دافىء: «مرحباً، سين. لقد ذهبت باكراً قبل أن تسنح لي فرصة التخطيط للقائك على العشاء الذي وعدتني به.» جيرالد هاركورت! رمت سين بنظرة يقظة إلى وولف، من بين كل الناس يتصل بها جيرالد الآن!

كما لو أنه لاحظ توترها، استدار وولف ببطء لينظر إلى وجهها الشاحب وهو يقول: «ماذا هناك؟» تنفست سين بصعوبة. هذا مريع حقاً. لم تدر ماذا تفعل: «سين؟» قال جيرالد بصوت حائر عندما لم يسمع إجابة على عبارته المقتضبة: «هل اتصلت في وقت غير مناسب؟» حاول أن

يخمن بأنه وقت حرج. لا يستطيع أن يكون أسوأ. ازدرد
ريقها بصعوبة: «ليس في الحقيقة!» كذبت قائلة: «والعش
سيكون جميلاً.» ولم تستطع النظر ناحية وولف.

لقد قبلت الدعوة. إذا لم تقبل الدعوة فإنه سيطي
المكالمة. ومع وجود وولف في الغرفة وملامحه المكفهر
فهذا سيزعجها. تابعت الكلام مع جيرالد: «هل تستطيع أ
تصطحبني في الساعة الثامنة؟» واضافت مستطردة:

«يوجد مطعم إيطالي بالقرب من هنا، إلا إذا كنت لا ترغ
بالمعجنات؟» ومن كان يأبه لما يحب أو يكره؟ فكل م
أرادته هو إنهاء هذه المكالمة بأسرع ما يمكن لأنها إذا ل
تفعل، فإن وولف سينفجر!

وافق جيرالد سريعاً: «تبدو المعجنات رائعة.» وبد
واضحاً أنه مسرور لنجاحه السريع إذ بدا وكأنه يخط
لإقناعها بقبول دعوته منذ وقت. أعطته سين عنوانه
بسرعة مبقية عينيها على وولف! وهي تحاول إنها
المكالمة بدون أن تبدو فظة. لم يتحرك وولف من مكان
قرب الشباك وأخذ يبدو مفزعاً أكثر. وبقيت سين بالقرب من
مكتبها ويداها مشبكتان أمامها، تنظر إليه بقلق. وبقي
صامتين، سين لأنها لا تعرف ما تقول، أما وولف، فكانت
متأكدة ان لديه الكثير ليقوله!

سألها أخيراً باتهام واضح: «جيرالد؟»

أجابت: «نعم» وملأت الحرارة وجهها لتبدو كتأكيد كاف.
وشد وولف فمه قائلاً: «سوف تتناولين العشاء معه الليلة؟»
رفعت وجهها بتحد: «نعم» مؤكدة على العبارة.

هز رأسه، وعاد فمه من جديد مزدرياً: «لقد سألتني منذ

وقت قصير ماذا جرى لي؟» سوف أخبرك بكلمة واحدة ماذا جرى لي: «أنت السبب. أنت وشعرك الفضي وعيناك البنفسجيتان وتعبير بريء خدعني منذ سبع سنوات، ولكن ليس من جديد!» ومشى باتجاه الباب وفتحه قائلاً: «ليس من جديد!» وأغلق الباب بشدة إلى درجة أن الجدران قد اهتزت. سقطت سين على كرسيها بضعف، ليس من جديد.

وولف قال هذا. ولكن مع ذلك فعناقه منذ وقت قصير في هذه الغرفة بالذات يجعل من كلامه هذا كذباً. في الحقيقة إذا كان وولف قد عانقها بمثل هذه العاطفة الجامحة فإنه لا يملك أي حق بالزواج من ريبيكا هاركورت!

الفصل الثالث

لو أن الأمور سارت بشكل طبيعي، لما كان وولف وسين ليتقابلا أبداً. وفي الحقيقة، كان من الأفضل لهما وللجميع لو أنهما لم يتقابلا قط! كانت سين تعمل في أحد استقبالات المساء عند آل ثورنتون، الفندق الشيق الذي تملكه العائلة في قلب لندن. وهو نفس الفندق الذي ستجري فيه حفلة زفاف ريبيكا وولف في شهر آب ـ اغسطس.

كان هناك الكثير من العمل في النهار والليل من أجل تلك الليلة بالذات. فأليكس ثورنتون وزوجته كانا الضيفين في حفلة ذكرى ميلاد والدته كلوديا التي أصبحت في الستين، إضافة إلى أن هذا الحفل كان معلناً عنه على لائحة الملاحظات حيث يدخل الضيوف، فلقد أمضت سين معظم الليل في إرشاد الضيوف إلى الغرفة المناسبة.

لكنها لم تر أياً من أفراد عائلة ثورنتون، حيث قام مدير الفندق شخصياً بإدخالهم إلى الحفلة. عند الساعة العاشرة والربع تأكدت سين من أن كل الضيوف قد حضروا، فجلست إلى جانب الكومبيوتر لتنهي بعض الأعمال التي لم تستطع إتمامها في وقت أبكر بينما أخذت بعض الفتيات وقتاً للراحة. فقد كن يعملن جميعاً بشكل قاس جداً خلال هذا اليوم من أجل إتمام كل شيء لحفلة ثورنتون. وكانت سين سعيدة بانتظار أن تأخذ وقتها للراحة، رغم علمها أنها لن تكون طويلة.

سأل صوت عميق مرح، مستفهماً: «ماذا فعل لك هذا الكومبيوتر؟» رفعت سين رأسها بعد أن كانت مركزة باهتمام على الشاشة أمامها، وفتحت عينيها جيداً عندما لاحظت شكل الرجل المنحني امامها على الطاولة بينما كان يراقبها تتصارع مع نظام الكومبيوتر لإدخال إسم نزيل في المجال المخصص للأسماء على الجهاز. فمن الواضح انهم لم يهتموا بترك مجال واسع لأسماء الناس القادمين من روسيا عندما أعدوا هذا النظام. ولكن نظرة واحدة إلى هذا الرجل جعلتها لا تهتم لأمر العنوان فهذا الرجل كان رائعاً! طويلاً. من المؤكد أنه على هذا الشكل لكي يستطيع الإنحناء فوق مكتب الإستقبال! مع شعر طويل أشقر ينسدل فوق جبينه. وعيناه الواسعتان تنظران نحو سين بعذوبة بينما هي تحملق فيه، فقسماته تتعدى ما يسمى بالوسامة وكل ما يتعدى الحياة. فوجنتاه عاليتان وأنفه أفطس كأنما كسر ذات مرة وفمه... آه من ذلك الفم! وقفت سين على مهل، وعبرت إلى الجانب الآخر من المكتب.

قالت بسخرية: «الآلات وأنا لا نتفق.» وعرضت عليه بتهذيب: «هل أستطيع أن اساعدك؟» وبدا لها من خلال قميصه الناصع البياض وبدلته السوداء وربطة عنقه التي يبدو أنه قد عقدها بسرعة، انه ضيف آخر لحفلة ثورنتون. ولم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عما إذا كانت أي من الفتيات تعرف من هو هذا الضيف. كانت هناك قائمة بالطبع من أجل دواعي الأمن. ولكن بدا أن الإستعلامات الكثيرة عن الحفلة قد استهلكتها. القت سين بنظرة جانبية على القائمة الموجودة إلى جانب يدها. ولكن كان هناك العديد من

الأسماء التي لم تشطب، إلى درجة أنه من المستحيل أن تعلم أياً منهم هو هذا الرجل، إلا إذا سألته، ولم تستطع سؤاله مع أنها كانت راغبة في ذلك. قال بتجهم: «أتمنى ذلك.» ثم اردف: «أخشى أنني تأخرت كما ترين وحفلة آل ثورنتون...» أومأت بتفهم «حسناً، لو كنت مكانك لما قلقت على هذا التأخير. فإن تلك الغرفة مكتظة إلى درجة أن أحداً لن يلاحظ غيابك!» مع أنها لو دعت هذا الرجل إلى حفلة ما وحتى إذا كان فيها ثلاثمائة ضيف كانت ستلاحظ غيابه. وعمق تجهمه وهز رأسه رافضاً: «ما كنت أكيداً كل التأكد لو كنت مكانك!»

آه، فكرت أن هناك امرأة ما بالموضوع. إمرأة مثلها تلاحظ غيابه. إمرأة على ما يبدو ولا يريد جرحها. وإلا لما كان هنا على الإطلاق. لسبب ما جعلها هذا الأمر مكتئبة.

«لقد نسيت أمر الليلة كما ترين.» وقطب الرجل وجهه غير منتبه لأفكار سين المخيبة. «ولكن منذ نصف ساعة قمت بأسرع تغيير في التاريخ، ماذا هناك؟» عبس عندما لاحظ أنها تومىء له ببطء.

فلم يكن في إمكانها إبلاغ أي من ضيوف الفندق ان لباسه غير لائق. وعبس متطلعاً إلى مظهره العام عندما أدرك أن هذا ما يسبب لها الإحراج.

«لم أرتد جاربين مختلفي الألوان من جديد... هل أنا؟ لا يمكن أن يكون... لا تستطيعين النظر إلى قدمي، حسناً»

قال متنهداً: «ما هو؟ دماء على ياقتي؟ صابون الحلاقة على أذني؟» ارتبك يائساً. كانت سين تضحك، ولم تستطع منع نفسها، بسبب استهزائه من نفسه تجاه اقتراحه! من بين

هذه الأشياء، لا بد أنه اقترف كل هذه الأخطاء مرة واحد ..

أكدت له بابتسامة: «ولا واحدة من هذه.» وأخبرته بسخرية واضحة: «ولكن ربطة عنقك غير مرتبة.» وضع يده متفحصاً القطعة المتهمة. يدٌ طويلة ناعمة الملمس والأصابع طويلة ومقلمة. تمتم: «لم اكن ابدو جيداً في هذه الأمور اللعينة. لا اعتقد أنك...»

قطبت سين بارتباك: «أنا ماذا؟»

«لا يمكنك أن تكوني أسوأ مني في عقد ربطة العنق.» وقرر بحزم منحنياً فوق المكتب من جديد: «هيا» ورفع ذقنه إلى الوراء ليسمح لها بأن تربطها بشكل أفضل حول عنقه.

نظرت إليه بعدم رضا لعدة ثوان. فهي لا تستطيع ان تمضي في إعادة ترتيب ملابس الضيوف! لا بد أن هناك بالتأكيد بنداً فيما يتعلق بهذا الأمر في عقد الاتفاق الذي وقعته للعمل هنا، ولم يمض زمن طويل على استلامها له. تمتم وفمه مشدود «حسناً.» وبدا تعباً من وقفته غير الطبيعية. «سوف أحصل على رقبة متشنجة إذا ما استمريت في رفع ذقني عالياً لمدة اطول، وانتهي بالمشي هكذا كل الليل. وعندها فعلاً سأصبح مشهوراً!» مع المرأة التي تنتظر وصوله في حفلة ثورنتون. ولكن لماذا هي مهتمة؟ ازدردت سين ريقها، فمن غير المحتمل أن ترى هذا الرجل مجدداً، وهكذا فما الفرق بالنسبة إليها عمن ينتظره في غرفة الاستقبال؟ تنهدت بتثاقل وهي تنحني إلى الأمام وتحاول فك ربطة عنقه، لتبدأ بربطها من جديد وقد أحست بخشونة القماش.

كان دنوه منها مهماً وأحست بشيء من التوتر، مما أدى

إلى فشل محاولتها الأولى. ولكن الرجل كان قريباً منها إلى درجة أنها رأت مسام وجهه، واحست بأنفاسه الدافئة على وجهها. فكيف تستطيع التركيز؟

قال برضى: «ليس سهلاً؟» عندما بدأت من جديد، شعرت انها محظوظة لكونه لم يلاحظ أنه هو سبب فشل محاولتها الأولى.

«همم» عبست سين بينما ركزت انتباهها على ربطة عنقه ولسانها بين أسنانها مانعاً اياها من المضي في الحديث، إذ أنها ارادت التركيز على الربطة بدلاً من جاذبية الرجل الذي تعقد ربطة عنقه.

ازدرد ريقه فجأة وقال: «كل من يرانا الآن معذور في ان يفسّر الموقف كما يريد. كنت امزح فقط.» عارض ابتعادها القاطع عنه وهي تضع يديها خلف ظهرها.

«لا تستطيعين تركي هكذا.» عارضته سين بصمت مع أن اقتراحه قد أيقظ بعض الخيالات في عقلها.

أمرته بنفاد صبر: «تعال إلى هنا.» وشدته من ربطة عنقه إلى الأمام، باتجاهها، وراحت اصابعها تعمل بسرعة وهي مضطربة بسبب احلام اليقظة التي اجتاحتها. لا بد ان هذا الرجل فوضوي. ولكنه شخص مهم جداً كي يدعى إلى حفلة ثورنتون. وفيما كانت تربت على العقدة الجديدة برضى. سأله صوت مستنكر وجوده في ذلك المكان. «أنت وولف، ماذا تفعل هنا؟»

لم تشعر سين برضى عن ذلك الصوت المتدخل. لا بد أنها الآن في ورطة بسبب هذا الرجل الذي يدعى وولف. لم يبد منزعجاً من المتدخل، وادار وجهه نحو المرأة التي نادته.

«أسأل عن مكان الحفلة، يا بربارا.» وانسحب بسهولة: «كيف تسير الأمور؟» ومر من أمام مكتب الاستقبال لينضم إليها. نظرت سين نظرة ثاقبة إلى المرأة الأخرى. كانت من الضيوف الذين حضروا باكراً. كانت جميلة طبعاً. قسمات وجهها ناعمة وفتية وعيناها الخضراوان محاطتان بأهداب مكحلة وفمها أحمر ولون بشرتها أسمر ذهبي لم تكتسب هذا اللون من المدينة. وشعرها الأسود يصل إلى كتفيها ليبدو طبيعياً، ولكن في الحقيقة ليس كذلك، فلا بد أن مصفف الشعر قد أمضى وقتاً طويلاً في تصفيفه ليبدو كذلك. وتبدو طويلة حتى بدون الحذاء ذي الكعب العالي الذي تنتعله مع فستانها الأسود الضيق الذي يعلو عن حدود ركبتيها مظهراً ساقيها الناعمتين.

كانت على النقيض من سين تماماً. ففي الحقيقة أن سين ذات الشعر الذهبي المعقود في جديلة تصل إلى خصرها وقسماتها الهادئة، لا يمكن أن توصف بالجميلة. وكانت عقدة حياتها في قصر قامتها، فلطالما تمنت أن تكون طويلة مثل المرأة التي يقبلها الآن وولف على وجنتيها بحرارة.

أجابت المرأة التي تدعى باربرا على استفهام وولف «يبدو أليكس هذه الليلة أكثر تهذيباً مع مرور الوقت.» وسمعت سين حديثهما وهي تقف قرب مكتب الاستقبال وعلى مسافة قصيرة منهما مع أنها كانت تبدو منهمكة بالأوراق التي أمامها على المكتب. وأضافت المرأة ذات العينين الخضراوين: «إنها إشارة واضحة إلى أنه مغتاظ» تنهد وولف: «وهل هو غير ذلك، هذه الأيام؟» وهز رأسه:

«سوف يتسبب لنفسه بالذبحة القلبية إذا ما استمر هكذا، باربرا. هل تعرفين أنه...» قاطعته باربرا بنفاد صبر: «إنه مغتاظ منك يا وولف. أنت تعرف أنه كان عليك الحضور مبكراً لإستقبال ضيوفنا!» أليكس؟ باقي العائلة؟ ضيوفنا؟ لقد خطر لسين فجأة بينما كانت مسمرة في مكانها، أن وولف هذا هو أحد أفراد عائلة ثورنتون، وان أليكس، هو أليكس ثورنتون رئيس صناعات آل ثورنتون، وبالتالي رب عملها.

لقد تذكرت أنها قالت لوولف ان أحداً لن يلاحظ غيابه عن الحفلة مع كل هذا الحشد! وقد انتقدت مظهره قبل أن تحاول إعادة عقد ربطة عنقه! ولكن من هو؟ ورفع حاجبيه بسخرية فوق عينيه العنبريتين قبل أن يقول: «عندما تلقيت دعوة رسمية اعتقدت أن اسمي وارداً في اللائحة الرسمية للضيوف، وليس للعائلة.» ورمقته باربرا بنظرة لوم، تغير فيها شكل وجهها مظهراً منظراً بشعاً لملامحها. «أنت تعرف أن الدعوة قد أرسلت إليك لكي تساعدك على تذكر المجيء إلى هنا. واضح أننا قد أضعنا وقتنا في تجربة ذلك. حسناً أن تصل متأخراً أفضل من أن لا تصل أبداً، كما اعتقد» وتأبطت ذراعه واتجها نحو غرفة الاستقبال. «ربما عندما يراك أليكس هنا سيهدأ؟»

تمتم وولف بدون اهتمام: «أنا لا أولي ذلك اهمية فرؤيتي لن ولم تكن لتؤثر على أخي الحازم من قبل.»

أخي! أدركت سين أن الأمر أسوأ مما ظنت، لم يكن وولف مجرد فرد من عائلة ثورنتون فحسب، بل الابن الآخر للعائلة، والذي ازعجهم جميعاً لأنه أصبح فناناً موسيقياً أو

أي شيء آخر حسبته العائلة غير لائق بوريث عائلة ثورنتون. لقد كان وولف ثورنتون شريك أليكس ثورنتون في صناعات آل ثورنتون ويملك نصف هذا الفندق في الحقيقة.

أجابت باربرا لاوية شفتيها المطليتين بأحمر الشفاه: «كلا، ولكن هذا سيزود والدتك ببعض السعادة لأنك هنا وهذا سيساعد الموقف.» لم يظهر على وولف الإقتناع، ولا باربرا بدت مقتنعة بما تقوله. وبما أنها رأت أليكس ثورنتون عدة مرات، لم تستطع سين منع نفسها من الاقتناع بأنهما كانا على حق في خشيتهما، فالشقيقان لا يبدوان مختلفين فقط، فأليكس يبدو أكثر سمرة وعيناه رماديتان ولا يملك قوام شقيقه الفارع بل أن طباعهما مختلفة أيضاً كما يبدو من القليل الذي رأته. فأليكس ثورنتون حازم بينما وولف ثورنتون بدهائه الساحر قد أسر قلب سين على الفور. في الحقيقة، لقد نظرت إليه بلهفة عندما أخذته باربرا بعيداً إلى غرفة الاستقبال حيث سيكون بلا شك منشغلاً بعائلته وأصدقائه هناك ناسياً موظفة الاستقبال الصغيرة.

لقد تمنت سين بالفعل أن يكون نسيها، فلم تكن تريد أن تطرد من عملها بسببه، وتصرفها معه لم يكن لائقاً! في الحقيقة ان سين لامت نفسها على عدم انتباهها لحضوره اللافت للنظر، وثقته بنفسه اللذين كانا جزءاً متمماً له قد يكون اكتسبهما بالوراثة، ولكن كيف لها ان تدرك ذلك قبلاً؟ والآن وهي تراقبه مبتعداً، من المؤكد أنها ما كانت لتنسى اسماً كوولف لو سمعته قبلاً!

توقف وولف فجأة وتمتم بشيء ما للمرأة التي إلى جانبه

قبل أن يستدير ويمشي إلى المكتب حيث ما تزال سين متوقفة. شاهدت تقدمه نحوها بعينين واسعتين، آه، ماذا سيقول لها الآن؟ «هل تتناولين العشاء معي غداً، يا لوسيندا سميث؟» أضاف بخفة بعدما نظر إلى اسمها المعلق على ياقة السترة التي أعطاها إياها الفندق كجزء من لوازم العمل.

بلعت ريقها بصعوبة، ورمقت المرأة الأخرى التي تقف وراءه في الممشى وهي تنظر إليهما بعينين خضراوين محددتين، ونقلت سين نظرها فجأة، عندما لمحت الحقد في تلك النظرة. ونظرت إلى وولف وكأنه جن فجأة أو هي قد جنت. لِمَ يدعوها إلى العشاء معه مساء غد؟ هل دعاها..؟ أجابته، مصححة: «سين.»

ابتسم مظهراً أسنانه البيضاء على بشرته السمراء التي اكتسبها هو وباربرا في نفس الوقت معاً! لم تستطع سين منع نفسها من التعجب. ولكن من كانت المرأة الأخرى؟ وما الدور الذي تلعبه في حياته كي يتمكن من تركها ليدعو سين إلى امسية في الخارج؟

«أنا لا احمل أي خطيئة في تفكيري من أجل موعدنا الأول؟» قال وعيناه ترمقانها باستهزاء مرح: «فقط عشاء» وهز كتفيه العريضتين واضاف: «ولكن إذا الححت...»

أجابته متأثرة: «عنيت، اصدقائي يدعونني سين، إنه تصغير لاسم لوسيندا.» وكان هو ينظر إليها بمرح. ولكن من يستطيع لومه؟ لقد كانت تتصرف كمراهقة بلهاء وليس كفتاة مسؤولة تبلغ العشرين من العمر. لوى فمه باهتمام لافظاً اسمها بحرارة: «حسناً سين. هل تتناولين العشاء معي غداً

مساءً؟ ليس في مكان فخم كهذا، كما أخشى.» وكان ينظر حواليه واستطرد: «استطيع أن أتحمل هذا النوع من الثراء حوالي مرة كل شهرين!» ولم تكن سين لتشعر بالراحة في مثل هذه الأماكن ولكنها لا تستطيع أن تلتقي بهذا الرجل في أي مكان. لقد كان رب عملها. سمعت أن الابن الثاني لعائلة ثورنتون يبقى بعيداً عن مجال الأعمال. هزت رأسها قائلة: «أنا لا استطيع. أخاف...»

أومأ بتفهم وهو يقول: «تعملين، استطيع أن أطلب من أخي أن يرتب أمر إجازة لك غداً مساء.»

«آه، لا.» صرحت سين بعدم رضاها على الاقتراح. آخر ما تريد ان يسمعه رئيس عائلة ثورنتون، هو علاقتها بأخيه: «أنا لن...» أنهى وولف اعتراضها بمزاح: «اعتقد أن أفضل طريقة، هي أي ليلة إجازة لك وسوف نتدبر الأمر.» نظرت إليه سين بتركيز. لا يبدو أنه يستهزىء بها ولكن مع ذلك لماذا يدعو فتاة نكرة مثلها؟

أضاف ترغيباً لها: «هل تحبين الطعام الصيني؟ هذا ما أحبه أنا إلا إذا كنت...»

قالت سين بسرعة: «أنا أحب الطعام الصيني.» واعية لنفاد صبر باربرا الجميلة المتوقفة في الممشى. «وليلة غد تصادف يوم إجازتي ولكن...»

«عظيم، سوف ألقاك خارجاً في الساعة السابعة والنصف مساءً.» ونظر إلى الوراء ليرى الرجل الذي انضم إلى باربرا الجميلة. إنه رجل تذكرت سين جيداً أنه أليكس ثورنتون.

أخبرها وولف: «أكره أن اكل متأخراً.» ثم انضم اليهما. ولم ينظر إليها بعد ذلك عندما ذهبوا ثلاثتهم إلى قاعة

الموسيقى. نظرت سين إليهم وهي تفكر، لقد دعيت بأعذب طريقة للقاء وولف ثورنتون على العشاء مساء غد.

لم يكن عليها الإلتزام بذلك الموعد لو عرفت أن التقرب إليه أكثر سيقودها إلى ما يشبه الذبحة القلبية. آه الذبحة القلبية لا تكفي لوصف الألم الذي عانته من الوقوع بحب وولف ثورنتون! وتناول العشاء مع جيرالد هاركورت. إنه أقل قسوة. فرفقة جيرالد كانت سهلة وكان هو مغرياً ولكن بدون ضغط. ربما لأنه لا يحتاج إلى الضغط. وفكرت سين أن سحر جيرالد الطبيعي ووسامته كافيان للفوز بالقلوب، ولكن ليس قلب سين. فهي تحبه بشكل كاف. ولو أنه لن يصبح حما وولف ثورنتون لكانت ابقت على صلتها به. ولكن بما أنه سيصبح حما وولف...

أخبرها بحرارة: «أنا لن أتخلى عنك» وقال عندما رفضت دعوته الثانية: «فكرت أنك ربما ستكونين المرأة التي تغير رأيي بالزواج.»

نظرت سين إليه نظرة عتاب بينما وقفا في غرفة الجلوس الصغيرة داخل كوخها المؤلف من غرفتين للنوم والذي استأجرته منذ عامين في احدى ضواحي فلتام وكان جيرالد قد رافقها إلى منزلها بعد أن تناولا العشاء. وقالت: «هل تقع النساء عادة في هذا الشرك؟»

قال بازدراء وبغير خجل: «قليل منهن في الواقع.»

ضحكت سين بخفة: «جيرالد، ربما نستطيع تناول العشاء معاً من وقت إلى آخر، إنما الآن أريد التركيز على حفلة زفاف ابنتك.» كشر قائلاً: «تذكيري بابنة على وشك الزواج يكفي لإبقائي في مكاني، أليس كذلك؟» هزت رأسها

قائلة: «لم أقصد ذلك، ابنتك ما زالت صغيرة على الزواج.»

قطب جيرالد جبينه وقال: «انها تجاوزت العشرين من العمر اعترف بأن وولف أكبر منها بكثير. إنه في الخامسة والثلاثين، ولكن أنا أكيد بأنهما مناسبان لبعضهما البعض.»

قالت بوهن: «ولكن العريس يبدو غريباً قليلاً.» فوولف الذي التقته اليوم يكاد لا يكون وولف المثير الذي تعرفت إليه منذ سبع سنوات، لقد بدا وكأنه لا يعرف كيف يكون مثيراً!

أضاف بعدم اكتراث: «اوه، وولف لا بأس به، هو وريبيكا صديقان...» صديقان؟ عبست سين: «أليس من الغريب قول ذلك عن إثنين سوف يتزوجان في غضون اربعة اشهر؟»

لم يوافقها جيرالد: «لا، ليس غريباً على الاطلاق... إنني أتمنى لو أنني ووالدة ريبيكا كنا صديقين قبل الزواج، ربما لم نكن لننتهي عدوين لدودين عندما انتهت العاطفة الأولية بيننا. ويمكنني أن اخمن بأن نفس الشيء قد حصل معك.» ونظر إليها نظرة حازمة. فاتسعت عينا سين وسألته: «ماذا تقصد؟»

ماذا يعني؟ لقد كانت أكيدة بأنها ووولف اليوم لم يعطيا أي انطباع على انهما يعرفان بعضهما البعض منذ عدة سنوات.

ازدرد جيرالد لعابه وقال: «كائناً من كان الرجل في ماضيك والذي اعطاك عدم الثقة بالزواج مثلي، فأنا استطيع الرهان على أنكما لم تكونا صديقين.»

لقد كان رهاناً خاسراً. فهما كانا صديقين حميمين منذ بداية علاقتهما، مما أدهش سين التي كانت متأكدة من أنه لا يوجد أي شيء مشترك بينهما. ولكن ما من طريقة لتخبر جيرالد عن الرجل! ابتسمت بعدم اكتراث: «أنا أكيدة من أن كلاً منا قد عانى من الأزمات العاطفية في ماضيه إلى درجة أنها قد أثرت على حياته، ولكننا تغلبنا عليها.» ورفعت وجهها عالياً إذ أنها كانت تعرف أنها لن تنسى وولف.

أومأ جيرالد بتفكير: «بعضنا يفعل.» وأخذ يراقبها. وقد وافقها أخيراً بخفة: «سوف أؤجل دعوة العشاء إذاً. وتحرك ليجذبها إليه من كتفيها بخفة: «ولكنني اقصد أنني لن اتركك بالفعل» وقلب اصابعه بخفة على شفتيها. وقفت سين على باب كوخها المضاء تلوح مودعة جيرالد الذي كان يقود سيارته بطريق العودة. وتعجبت ماذا سيفعل لو أنه عرف أنها وولف كانا على وشك الزواج منذ سبع سنوات!

بالعودة إلى الماضي، عندما أنهت عملها في الفندق تلك الليلة لم تر وولف ثورنتون بعد ذلك. لسوء الحظ، فقد اعتقدت سين أنه لم يكن جاداً، فما الذي دفعها لانتظاره خارج فندق ثورنتون في الساعة السابعة والنصف في الليلة التالية؟ شعرت بارتباك شديد وهي تقف في الممشى، والناس الداخلون إلى الفندق ينظرون إليها بفضول، بينما حاولت أن تبدو طبيعية وتتظاهر بأنها تنتظر أحداً ما، شخصاً ما لم يصل حتى الساعة الثامنة إلا ثلثاً! لم يكن جاداً، أدركت ذلك بقلب غارق، وهي تفكر كيف تستطيع الإنسحاب من دون لفت الانتباه اكثر إليها.

النادل الذي تعرفت إليه منذ بضعة أسابيع كان يراقبها

بانتباه، فقط ليعرف مع من كان موعدها. كم هو مريع أن هذا الموعد لم يتم! قال لاهثاً: «من حسن الحظ، إنني وجدتك.» سمعت الصوت من خلفها: «لقد اعتقدت أنني تأخرت.»

لقد كانت سين على وشك الإنسحاب من أمام البوابة الرئيسية للفندق، ولكنها التفتت بسرعة عندما سمعت صوت وولف ثورنتون. بدا أن وولف قد احتار ماذا يرتدي لتلك الأمسية، تماماً كما احتارت سين بين الملابس العملية أو الرسمية. حيث أنه لم يكن يرتدي سترة مع أن برد شهر نيسان كان قارساً. وبدا على قميصه الأزرق بعض بقع الطعام! وقد عبست سين من رؤية البقع ذات اللونين الأخضر والأحمر واعتقدت أنها من وجبة طعام! لقد كان مظهره أقل ترتيباً من مظهره ليلة السبت وشعره اشعث من الهواء. ولقد انتبه إلى ذلك عندما لاحظ نظراتها الصامتة إليه، ووضع يده على شعره يحاول إزاحة بعض الخصلات عن جبينه: «إنني آسف حقاً لتأخري عن موعدنا يا سين، ولكنني تأخرت في العمل.» ولم تستطع منع نفسها من التعجب: «أنت تعمل يوم العطلة؟» عبس لردة فعلها وامسك بيدها بقوة: «أنا اعمل كل يوم يا سين» واقترح بنعومة: «دعينا نذهب وسنتكلم ونحن نتاول طعام العشاء.» لقد ظن انها سترفض تناول العشاء معه لأنه تأخر عشر دقائق فقط! ادركت سين ذلك بذهول.

لم تكن سين سعيدة بوقوفها في ذلك المكان بانتظاره، اعترفت بذلك. والآن بما أنه قد حضر فإن النادل قد اضطرب لرؤيته الشخص الذي أتى ليقابلها. ومن الواضح أنه ما يزال

يذكر وولف من ليلة أمس! ولكنها ما كانت لتغير من رأيها في شأن العشاء من أجل عشر دقائق تأخير. ومن تعبير رون، النادل، المندهش، كان من الأفضل لهما الابتعاد عن الفندق بسرعة! «لقد اعتقدت أنك قد تناولت طعامك؟» وعبست في وجهه وهما يتجهان نحو سيارة الأجرة التي أشار إليها وولف بالاقتراب.

أعطى وولف عنواناً للسائق وجلس بجانب سين في المقعد الخلفي. وبدا مرتبكاً ونظر إليها قائلاً: «ما الذي اعطاك هذا الانطباع؟ هذا ليس طعاماً.» وضحك باستخفاف من طريقة نظرتها للأمر ووضع يده على البقع معترفاً بذنبه: «كان علي تغييره قبل مجيئي للقائك. ولكنني انشغلت في عملي، وكانت تقريباً الساعة السابعة والنصف عندما تذكرت موعدنا.» ضحكت بنعومة وبدأت تشعر بالراحة وهما يبتعدان عن الفندق، لقد كان أسوأ مكان ممكن لتدبر موعد لقائهما، مع أنها كانت تعرف أنه لم يكن أمامه الكثير من الوقت ليقرر مكاناً آخر.

قالت بابتسامة عاتبة: «ما استطعت قوله لم يكن جديراً بالإطراء.» وتحركت يد وولف للامساك بيدها: «عندما تعرفينني جيداً ستدركين أنني لا أجيد الإطراء أبداً.» وأخبرها بحدة: «في الواقع لقد اتهمت بعكس ذلك تماماً في أكثر من مناسبة.» وبدا أنه اعطى بعض الحياة للحوار حين قال: «آمل أنك لا تمانعين، فلقد طلبت من السائق أن يأخذنا إلى شقتي، فأنا حقيقة علي أن أغير ملابسي قبل أن اصطحبك إلى العشاء.» لم تأبه سين إلى أين يذهبان، لأن جسدها كان يرتعش من مجرد لمسة يديه ليديها. ولاحظت

دفء نظراته العنبرية بينما كانا في طريقهما إلى الشقة.

كانت الشقة كما توقعت سين في ماي فير، وأخذها إلى الطابق الأخير من المبنى. ولكن أثاث المنزل كان في غاية الغنى. فالخشب الأبونية مع الكروم مغطى بجلد بني بدا وكأنه ليس ذوق وولف. وقال وولف: «باربرا هي من جهزت الشقة.» وكأنه يقرأ أفكارها! باربرا من جديد. لم تقدر سين أن تمنع نفسها من التفكير في موقع باربرا في حياة وولف. وجعلها هذا الأمر تشعر بالإكتئاب.

بدا وولف هذه المرة وكأنه لا يعي مشاعرها فقال بخفة: «أمنحيني بضع دقائق لأغيّر ملابسي وسأكون معك.» ودلها إلى مكان الثلاجة: «قدمي لنفسك عصيراً واطلعي على رفوف الكتب.» وأسرع إلى الغرفة مشرعاً بفك أزرار قميصه.

أخذت سين بضع دقائق لالتقاط أنفاسها قبل أن تنفذ فكرتها، فكونها برفقة وولف ثورنتون جعلها تشعر وكأنها دخلت في القطار السريع! ولكن عندما نظرت إلى رفوف الكتب الممتدة على حائط الغرفة لم تعد مهتمة بالعصير. فلقد وجدت ذوق وولف بالكتب حيوياً مثل تفكيره تماماً، ومواضيع الكتب تشمل الشعر والسير الذاتية التاريخية والحديثة إلى الفن والتاريخ، وذوقه بالقصص الخيالية يختلف بين الرعب والأحلام والغموض حتى الرواية العادية التي تصنفها ضمن الرومانسيات.

بدا أن اهتمامه ينصب على الكلاسيكيات. ولكن مع ذلك ما زالت سين تعتقد أنه من الصعب الحكم على طبيعة إنسان من خلال ذوقه باختيار الكتب. ورغم الوقت القصير الذي عرفته

فيه، إلا أنها أحست أنها بحاجة ماسة لأن تعرف عنه أكثر.

لكن بضع الدقائق التي طلبها وولف امتدت إلى وقت أطول. وعندما نظرت إلى ساعة يدها عرفت أنه انصرف منذ أكثر من نصف ساعة. بالتأكيد لا يلزمه كل هذا الوقت لكي يغير ملابسه؟ وحتى إذا كان قد قرر أن يستحم ويحلق ذقنه قبل أن يرتدي الثياب النظيفة فمن المؤكد أنه لن يلزمه كل هذا الوقت الطويل؟

نادته: «وولف؟» وأعادتها ثانية عندما لم تسمع رداً على ندائها الأول. «وولف!» ومع ذلك لا جواب. ماذا كان يفعل؟ لم تشعر بالراحة تماماً من فكرة دخولها غرفة نومه، ولكن إذا كان لا يستجيب لندائها... إلى جانب ذلك قد يكون وقع ارضاً ولا يستطيع الرد عليها. لم يكن أمراً محبباً، ولكن هناك أمر ما قد أخره. «الأمر» يتحول إلى مفاجأة كاملة لسين، التي لم تكن لديها أية فكرة عن أي شيء. غرفة نوم وولف غرفة أخرى تستطيع سين أن تقول عنها أنها لم تفرش حسب ذوقه. فمفروشاتها الفخمة لا تناسبه ابداً، ولكنها كانت خالية من الرجل نفسه، والحمام أيضاً كان خالياً ولكن الباب الآخر الملحق بالغرفة كان أكثر أهمية. دخلت الغرفة ببطء وفتحت بقوة عينيها عندما وجدت نفسها داخل محترف. محترف فنان - رسومات كاملة وشبه كاملة منتشرة على الجدران وسقف الغرفة من الزجاج يسمح بوصول أكبر كمية من ضوء الشمس. وصدق تكهن سين ان المناظر هنا، هي التي تحتاج إلى الضوء لكي تؤثر بالأحاسيس، وليس فقط بالنظر، وحينما نظرت إليها باهتمام، أخذ استغرابها يتزايد، فالرسومات كانت جيدة

جداً برغم عدم معرفتها بأمور كهذه. وولف قد رسمها جميعاً.

كان وولف يجلس وظهره إليها، مهتماً كلياً بلوحته شبه الكاملة أمامه. والمرأة في الرسم كانت مستلقية مثل جنية بين الصخور الرمادية والبحر الرمادي الهائج حولها يحاول أن يغرقها في لججه الحريرية. شعر أشقر متناثر بفعل الهواء الهائج. وفستانها الأزرق الباهت يلتصق بمنحنيات جسدها. وعادت نظرات سين إلى وجه المرأة مرة أخرى. فتعبيرها الصافي على وجهها مرتكز على عينين ساحرتين، كان هناك شيء مألوف في هذه المرأة، يا للعجب، إنها هي!

لا بد أنها شهقت عالياً لهذا الإدراك لأن وولف استدار بحدة، وتجمدت نظراته بضع ثوان عليها، وهز رأسه منزعجاً من نفسه. «تباً! لقد فعلتها من جديد، أليس كذلك؟» وقف بغير توازن وهو يمسح الطلاء عن يديه بمنديل وكأنه يفعل هذا للمرة الأولى اليوم. فلقد بدا أن هذا المنديل كان ابيض من قبل. لقد كان الدهان على قميص وولف أيضاً. وأدركت سين فجأة أنه كان يعمل في هذا الرسم قبل أن يأتي ليقابلها. هذا كان سبب نسيانه للموعد. والمرأة في الرسم كانت هي. كانت متأكدة من أنها هي.

رأى وولف الإرتباك على وجهها عندما عبر الغرفة ليقف أمامها. «نعم انها أنت... إنه سبب تأخري عن لقاءك هذا المساء.»

أومأت له بذهول وكانت لا تزال تحملق في الرسم امامها وقالت له: «كنت مشغولاً بالعمل عليها.»

«إنني كذلك منذ عدت إلى المنزل مساء أمس.» وكان ينظر إلى الرسم: «ولكن لم يكن هذا فقط.» وامسكها من كتفيها بنعومة وازداد تعبير وجهه عمقاً: «عندما أعمل في الرسم يبدو لي الزمن كما لو أنه توقف. وعندما أخبرتك إنني نسيت موعدنا لم أكن اقصد ذلك إنما الوقت قد انساب بسرعة مني، لقد كنت أتشوق لرؤيتك من جديد منذ أن تركتك ليلة أمس. هل تؤمنين بالقدر؟» إستفزها بقوة وهزها بخفة عندما لم تجبه على الفور. «أنا لم أكن متأكداً من ذلك حتى مساء أمس. الرسم هو حياتي يا سين، لم أرغب في أي شيء آخر ولم أفعل أي شيء آخر منذ أن وعيت على الدنيا.» كان يتكلم بسرعة ويأس لكي يجعلها تفهم ما يعني صمت لحظة وأضاف: «وكنت راضياً وحتى مسروراً في بعض الأوقات. لم أخسر صدقيني فأنا انتقد نفسي! ولكن ليلة أمس عندما استطعت الهرب من الحفلة، كنت ملهماً، كنت أعلم أن عليّ أن ارسمك» ونظر إلى الرسم واستطرد: «إنه جيد، يا سين.» ولمع وجهه برضى كونه قال الحقيقة. لم تستطع سين الجدال. كان الرسم جميلاً ولكن ماذا يعني؟ لماذا رسمها وولف بتلك الطريقة؟ «إنني أحضر هذه الرسومات لمعرضي الذي سيجري في الصيف القادم. وكنت في حاجة إلى شيء خاص ليكون موضوعي الرئيسي للمعرض» ونظر إلى الرسم مجدداً: «هذا الرسم سيكون الموضوع الرئيسي.»

أشاحت سين نظراتها عن الرسم الجذاب ونظرت إلى وولف الذي اصبح مستغرقاً مرة أخرى في الرسم.

كان من الواضح، الآن، أنه رسم يستحق إسم «شيء

مميز»، وهذا ليس له علاقة بأن وولف قد رسمها لتبدو جميلة. كان هناك سحر خاص في كل عمل له ولكن هذه..!

لم تشك سين للحظة بأن المعرض سيكون ناجحاً وأن إسم وولف ثورنتون الفنان، سيعرف عالمياً ويضاهي إسم ثورنتون في عالم الأعمال. قالت بخجل: «إنني سعيدة لأن لقاءك بي قد وهبك هذا الإلهام.»

التفت لينظر إليها مبعداً أثر الرسم الآسر، وابتسم ابتسامة دافئة زينت وجهه الجميل، وأمسك بكتفيها مرة أخرى، وقال: «لقد أعطاني أكثر من مجرد الرسم يا سين، لقد أعطاني المرأة التي سأتزوج منها.»

شعرت بأن كل الأنفاس قد خرجت من رئتيها وجف حلقها وكل عضلة في جسمها قد توترت غير مصدقة. ألم يقل حقيقة انه...

«القدر، يا سين.» ذكرها بتشويق ضاحكاً بسبب تعبير وجهها الجامد.

«لم أكن أتكلم عن الإلهام للرسم فقط. إنه لقاء المرأة التي أردتها أن تكون زوجتي هو الذي أعطاني الإلهام!»

صرخت به: «أنا.» لا تستطيع تصديق هذا الرجل. فهو من عائلة ثورنتون من جهة، ورجل لو صدق القدر فمن المفترض أن يكون بين أشهر الفنانين من جهة أخرى. ويريد الزواج منها...؟

لم يكن يعرف عنها شيئاً فسنوات عمرها الأولى قضتها في الميتم وسنوات عمرها الأطول في بيوت الرعاية والوقت الذي أمضته بعد ذلك قضته في الصراع من أجل تلقي بعض علوم السكرتاريا لتحظى بعمل مناسب.

عملها كموظفة استقبال في فندق ثورنتون كان الأكثر أهمية حتى الآن. والآن هذا الرجل الذي يملك نصف الفندق يخبرها انه يريد الزواج منها! أمر لا يصدق.

أكد لها: «أنت يا لوسيندا سميث... وقبل أن يتم معرضي الأول سأقنعك بالزواج مني.» وقد أقنعها بدون جهد. كان من المستحيل أن لا تقع في حبه وأن لا تكون هناك حين يحتاجها. وقد أمضى الإثنان كل ثانية متاحة لهما معاً منذ الليلة الأولى، ومن أجل أن تتأكد من أنه لم ينس تناول الطعام عندما يستغرق في رسوماته. وقد ذهبت في تلك الليلة واحضرت وجبة طعام صيني إلى المنزل وأمضيا الليلة معاً. ومع نهاية شهرهما الأول انتهى رسم سين كما أراده وولف ووضعت سين خاتم الخطوبة. وهي تعرف جيداً ما جرى لخاتم خطوبتها العقيق مع الماس. لقد أعادته إليه بعد بضعة اسابيع.

لكن ماذا حدث لرسمها؟ والرسومات الأخرى التي أتمها في محترفه أيضاً؟ إذ لم يكن هناك أي معرض لأعمال وولف في ذلك الصيف، ولا أي صيف آخر، كما تعي سين، وكانت تبحث عن لوحات وولف ثورنتون خلال الأعوام التالية وتتمنى لو ترى أياً منها من جديد ولكن لم يكن هناك أي عرض لرسوماته أبداً.

ماذا حدث لوولف؟

الفصل الرابع

أخبرتها ريبيكا بوهن: «يمكن أن يكون ووولف صعباً.»

فكرت سين أنها ليست في حاجة لأن تعرف ذلك. متذكرة حديثها الأخير معه والذي لن تستطيع أن تخبر الفتاة عنه.

التقت الفتاتان كما خططتا، وحالما طلبتا الطعام شرعت ريبيكا في التفسير لسين لماذا فكرت أنه من الأفضل التكلم معها عن السر الكامن في ما يتعلق برغبتها بعدم التسرع بترتيبات الزفاف.

استمعت إليها سين بهدوء خلال تناول الحساء، مدعية مرة أخرى أن هناك الكثير من الوقت حتى يحين موعد الزفاف. وأنه ما من داعٍ لإرسال البطاقات خلال الأسابيع القادمة وان ريبيكا تعرف أي نوع من فساتين الزفاف تريد وفساتين فتيات الشرف أيضاً، وكل هذا يمكن القيام به قبل موعد الزفاف بفترة قصيرة. إلى جانب ذلك، فريبيكا تريد تخفيض وزنها قبل الزفاف، فإذا ما أعدت الفستان الآن سيختلف قياسه عليها.

نظرت سين إليها، لم تكن الفتاة ذات الجسد المتناسق في حاجة لأن تخفض من وزنها. كما فكرت أن أياً من هذه الأسباب له أي علاقة بطلبها تأجيل تحضيرات الزفاف. ومع ذلك فإن سين ما تزال تتمنى لو أن البستاني الشاب لا يكون السبب الحقيقي لتردد ريبيكا في تحضيرات الزفاف.

طلبت ريبيكا كتمان هذا الحوار عن وولف، إحمر وجهها وأصبح كلون شعرها. «انه لن يتفهم حاجتي إلى التمهل. سوف يعتقد أن ترددي في الزواج منه هو السبب في التأخير.» ولم تستطع النظر في عيني سين المتعاطفتين معها.

استفسرت سين بنعومة: «وهل يمكن أن يكون كذلك؟»

عارضتها ريبيكا على الفور: «طبعاً لا... لقد أخبرتك بالأسباب التي تدفعني إلى عدم التسرع.» أخذت تسحق قطع الخبز بغضب غير واعية أنها تفتتها. «وولف رجل رائع وهو يهتم لأمري كثيراً.»

«وأنت؟» راقبت سين الفتاة الأصغر سناً بحدة. لقد كان هناك خطأ ما، ما تدعيه ريبيكا عكس ذلك، لم يكن له أهمية. «وهل تهتمين له كثيراً في المقابل؟»

قالت ريبيكا مدافعة عن نفسها: «ولماذا أتزوجه إذاً؟» لماذا إذاً بالتأكيد؟ وشعور سين بعدم الارتياح من الوضع كله قد ازداد بحديثها مع ريبيكا. ولم تكن تثق بالأمر. ولم تشك للحظة في أن ريبيكا تهتم لأمر وولف، من جراء نبرات صوتها المتهدجة. ولكن هل اهتمت له كما تهتم العروس بالرجل الذي سوف تتزوجه بعد أربعة أشهر؟

هذا هو السؤال. ولكن سين لم تكن في موقف يسمح لها بطرحه من دون أن تجرح الفتاة، وهي قبل كل شيء إحدى زبوناتها.

شملت ريبيكا بابتسامة دافئة، محاولة جهدها لكي تهدئها عندما انتهتا من تناول الحساء، وبدأتا بتناول

الوجبة الرئيسية، وقد لاحظت سين مدى ضعف شهية ريبيكا. وتساءلت، هل شهيتها للطعام ضعيفة هكذا دائماً أم أنه الضغط الذي تعاني منه؟

تنهدت ريبيكا: «انه ليس وولف فقط أبي أيضاً سوف يشعر بخيبة أمل لو...» وبدت تعيسة وهي تقول: «إنهما من أعز الأصدقاء» هذا تماماً ما ادعاه جيرالد عن ريبيكا ووولف! ولكن ما من أهمية لقول جيرالد، فعلى العكس فإن الناس الذين هم أصدقاء فقط، ليس عليهم حقيقة أن تنتهي علاقتهم بالزواج، وخصوصاً عندما تكون الفتاة متورطة مع بستاني والدها. ومع مرور الوقت اقتنعت سين كلياً أن البستاني الشاب هو السبب الرئيسي لتردد ريبيكا في البدء بترتيبات الزفاف. أشارت إليها بجفاء: «والدك ليس هو من سيتزوج من وولف.»

ردت ريبيكا بابتسامة واهنة على محاولة سين ابداء المرح: «كلا عندي انطباع واضح بأن اهتمام والدي منصب في مكان آخر.»

ربما كانت عواطف ريبيكا مضطربة، ولكن هذا لم يمنعها من أن تعي حقيقة ما يجري في حياة والدها أيضاً! ولقد قلبت المعايير على سين، ربما كانت هذه الفتاة هي الزوجة المناسبة لوولف فقد كانت بالتأكيد تعرف كيف تتصرف في الأوقات الصعبة.

أحمر وجه سين الآن: «لقد تناولنا أنا ووالدك العشاء مساء أمس، نعم، ولكن...» وبدت ريبيكا مرتبكة: «لم تخبريه أننا سنلتقي اليوم. هل فعلت؟»

أكدت لها سين مجدداً: «كلا.» وأضافت بنعومة: «مع

أنني أعتقد انه ربما عليك...» نظرت إليها الفتاة الأخرى بقلق: «لماذا؟»

فيما نظرت إليها سين برقة: «أعتقد أنك تعرفين لماذا، يا ريبيكا؟»

ثم استفزتها بخفة مضيفة: «لا تمانعين بأن أدعوك ريبيكا، هل تمانعين؟»

«حسناً، بما أنك تلتقين بوالدي ربما...»

أخبرتها سين بحدة: «أنا لا أخرج مع والدك، يا ريبيكا.» صممت على أن لا تكون في موقع المدافع عن نفسها أمام ريبيكا التي حاولت عمداً افتعال هذا لتصرف انتباه سين عن الموضوع الحقيقي، الموضوع الذي تجادلتا حوله طوال وقت الغداء. وكان من الواضح اهتمام واحترام ريبيكا لوولف ولكنها لا تريد الزواج منه بالتأكيد.

«لقد خرجت معه مرة لأنني وعدته بذلك، ولكنني لا أنوي أن أعيد الكرة.»

حملقت ريبيكا من جراء تأكيد سين وبابتسامة عاتبة اضاءت فجأة قسماتها الجميلة، قالت: «لا بد أن هذا كله مفاجأة لأبي.» ردت سين قائلة: «أعتقد أنها كذلك.» وهزت ريبيكا برأسها قائلة: «مسكين أبي.»

قالت سين برزانة وهي تنحني عبر الطاولة لتلمس يد ريبيكا: «اتصلي بي إذا قررت ان أمضي في هذا الأمر... اتفقنا؟» احمر وجه ريبيكا: «ماذا تعنين بذلك؟»

قالت لها سين وهي تأكل السلطة: «ريبيكا، لقد أحببت منزل والدك.» وقد لاحظت من تعبير ريبيكا أنها لم تكن متأكدة من هذا التغيير في الموضوع. «فغرفة الجلوس

التي كنا فيها في غاية الأناقة، ومريحة جداً أيضاً، مع ذلك المنظر الرائع للحديقة.» تناولت بعض السلطة وأخذت تأكلها بتلذذ محاولة أن لا تلتقي نظراتها بنظرات ريبيكا.

وافقتها ريبيكا بذهول: «نعم. إنها مريحة، أنا، آه، لا...» ولمعت عيناها وطأطأت رأسها كي لا يرى أحد في المطعم دموعها. تمتمت برثاء: «هل رأيت؟»

«رأيت سيدة المنزل الصغيرة، تذهب إلى البستاني هذا كل شيء.» وأكدت سين لها بلطف: «أريد فقط أن تدركي أنني لست في عجلة من أمري كي أبدأ بترتيبات زفافك. ولكنني سأكون سعيدة بمساعدتك في تحديد شخصية العريس.»

أضافت برقة: «بعد كل شيء، إنه ليس بسبب الزفاف فقط أليس كذلك؟ هناك بقية عمرك القادمة التي تهم.»

أخذت ريبيكا نفساً متقطعاً وأبعدت الدموع عن عينيها بثبات ورفعت كتفيها بشدة وأمسكت بشوكتها لكي تسرع بتناول الطعام وقالت لسين: «شكراً لك.»

لم تستطع سين إلا أن تعجب بالفتاة. فهي تعجبها! لم تعتقد أنها تستطيع قول ذلك عن امرأة قرر وولف أن يتزوجها. ولكن كان هناك شيء مميز في ريبيكا، لقد أيقظت مشاعر الأمومة في قلب سين، وهذا ما ادركته. ولكن، كيف لها ان تشعر بالأمومة تجاه عروس وولف؟ لقد كان ذلك في غاية السخف!

قال وولف: «كيف كان عشاؤك مع جيرالد البارحة؟» نظرت سين بارتياب إلى وولف بينما كانت تجلس إلى الطرف الآخر من مكتبه.

كان لدى سين الكثير من العمل لتنجزه بعد عودتها من

الغداء مع ريبيكا فقد كانت تحضر قائمة الطعام للعشاء في الأسبوع القادم، وبينما هي مستغرقة في عملها تلقت اتصالا من مكتب وولف وقد أعلمتها سكرتيرته ان وولف يريد مقابلتها إن لم يكن لديها مانع.

إذا لم يكن لديها مانع! يبدو أن وولف وريبيكا يظنان أن لا عمل لديها سوى اللحاق بهما. يبدو انهما مقتنعان بأن لا زبائن آخرين لديها! ولكنها تذكرت أن وولف قد رأى جدول أعمالها عندما زارها يوم أمس، لا بد أنه لاحظ أنها لم تكن لديها اعمال كثيرة للأسابيع القادمة.

مع ان في فترة ما بعد الأعياد تقل أعمالها ثم تعود وتتحسن في حزيران - يونيو، ولكن هذا ليس سبباً وجيهاً لوولف كي يفترض أنها تستطيع ترك كل شيء والذهاب إلى لندن لمقابلته.

ولكن سكرتيرته المهذبة أخبرتها بوضوح ان السيد ثورنتون لا يستطيع أن يذهب بنفسه للقائها، ذلك أنه في اجتماع الآن، ولا تتوقع أن ينتهي منه قبل الساعة الخامسة، مما يعني أن سين لا تستطيع التكلم معه لتعرف ماذا يريد! أنهت سين المكالمة مع السكرتيرة، على أن تلتقي وولف في الساعة الخامسة والنصف.

أمضت فترة الظهيرة بعد ذلك غير قادرة على التركيز على ما تفعله. ولو لم يكن وولف في اجتماع عمل، لذهبت لمقابلته في الحال ولكنه لا يستطيع رؤيتها إلا بعد الساعة الخامسة.

لقد تمنت لو أنها لم تلتق قط بجيرالد هاركورت في ذلك الزفاف، ولم تسمع بابنته ريبيكا وبالتأكيد لما التقت

بوولف مرة أخرى، وخاصة ان سبب طلبه رؤيتها، هو أن يسألها كيف جرت الأمور بينها وبين جيرالد ليلة أمس، وهذا ليس من شأنه!

كانت تقف بعدم ارتياح وهي تحس بحذائها يغرق في السجادة الزرقاء الباهتة. وبدا أن المكاتب الرئيسية في صناعات آل ثورنتون تتمتع بكل وسائل الرفاهية.

لم تذهب سين إلى هناك من قبل. فالمكتب لم يكن بين الأماكن التي كان يهتم بها وولف، إلا أنها تعترف بأنه يبدو قاسياً ومتغطرساً مما يجعله مناسباً لعالم الأعمال أكثر من كونه فناناً مبدعاً، مع أنها كانت لا تزال تشعر بالحزن لفقدانه.

هذا لن ينفع. وقد عادت بأفكارها إلى وولف القاسي والمتغطرس. ومن الأفضل لها أن تتذكر هذا.

سألته بخفة: «لماذا أردت رؤيتي يا وولف؟» وكان مزاجها ليس صافياً بعد أن اضطرت للمجيء إلى لندن للمرة الثانية اليوم. مال إلى الوراء على كرسيه الجلدي، وضاقت عيناه وبدا في سترته الكحلية وقميصه الأبيض وشعره المسرح إلى الوراء بصلابة، أنه في الخامسة والثلاثين بدون شك، من الواضح أنه رجل أعمال ناجح. لوى فمه بقسوة: «ألن تجيبي عن سؤالي عن موعدك مع جيرالد؟ لقد بدا على غير عادته هادئاً، مما يعني أمراً واحداً من إثنين...»

لقد تمكنت سين أخيراً من الكلام: «هل سألت جيرالد عن موعده معي؟» وقد ارتابت كثيراً في بادىء الأمر في أن تقول أي شيء.

قال وولف: «اما أنكما فشلتما إلى درجة أنكما لن تكررا اللقاء أو أنكما أصبحتما متحابين.» وقسا صوته الآن وضاقت عيناه: «وفي كلا الحالين، فإن جيرالد المهذب لا يطلع أحداً على أموره مع النساء. وهكذا فهو لن يخبرني ويخبر أي شخص آخر عما جرى.»

قالت سين بحرارة وعيناها تلمعان: «إنه أمر مؤسف، لا يمكن قول الشيء نفسه عنك!»

لم يتحرك وولف، كان متوتراً، إلا انه لم يكن هكذا منذ بضع دقائق، فقد كان هادئاً. كان صوته ناعماً نعومة خطرة: «ماذا تعنين بذلك؟» رمقته سين متهمة إياه: «من الواضح انك لا تشعر بالندم لمناقشة أمري معه.» وتحدته مدافعة: «أو انك لا تعتبرني سيدة؟»

منذ سبع سنوات كانت حبيبته، بعد معرفة دامت عدة ايام فقط. ربما يعتقد أنها عرفت عدة رجال من بعده.

الحقيقة انه لم يكن في حياتها أي رجل بعد وولف. وقد رجعت هي وروجر إلى علاقتهما البريئة التي كانا عليها من قبل. فقد صارا يخرجان بضع مرات في الأسبوع. وما زالا يلتقيان في بعض الأوقات الآن. كان وولف الرجل الذي أحبته ولكن حبها لم ينجح، وبدلاً من ذلك أخذت ترتب أفراح الآخرين.

قال وولف: «أنا لم أتكلم عنك مع جيرالد في أي وقت.» لقد كان صوته هادئاً تماماً: «ولكن على ضوء هذه الظروف يبدو الأمر غامضاً خصوصاً وأننا قد تناولنا غداء عمل مع بعضنا اليوم ولكنه لم يأت على ذكر موعده معك ليلة أمس.»

ارتاحت سين مع أنه كان من العسير عليها التفكير بأن

وولف وجيرالد تناولا الغداء معاً بينما هي وريبيكا كانتا تفعلان الشيء نفسه. من حسن الحظ أنهم لم يقرروا تناول الغداء جميعاً في نفس المطعم. ألم يكن من شأن ذلك أن يجعل لقاءهم مثيراً؟

قالت ببرود: «ربما تناول العشاء معي هو بالتحديد أمر لا يجدر به ان يذكره.»

تأملها قائلاً بهدوء: «أشك في ذلك.»

نظرت إليه سين بحدة ولكن تعبيره بقي غامضاً. ولم تستطع أن تخمن بماذا يفكر، وتنهدت، فلقد كان ضغط الرحلتين إلى لندن اليوم مرهقاً لها.

قالت سين: «هل تستطيع أن تقول لي لِمَ أنا هنا، في الوقت الذي يجب ان أكون فيه في المنزل أتناول العشاء وأرتاح بعد ذلك خلال عطلة الأسبوع؟» فبعد هذين اليومين كانت تشعر بحاجة ماسة إلى الراحة.

رد عليها وولف: «همم، يبدو مغرياً.» وتجهم وجهه مما أعطاها انطباعاً بأنه يفعل أي شيء عدا الراحة في عطلته.

لوت فمها قائلة: «أنا متأكدة من أن رئيس صناعات آل ثورنتون يستطيع فعل الشيء نفسه إذا ما أراد ذلك.»

سألها وولف: «هل أنت كذلك؟» وتنهد: «أنا لست متأكداً إلى هذا الحد مع احتمال انني سأحصل على بعض الوقت للراحة في هذه العطلة.» وقطب جبينه فجأة: «بعد أن ذهبت ريبيكا لبضعة أيام.»

«أنا أكيدة أنك... هل ذهبت ريبيكا؟» تمنت سين أن يبدو صوتها طبيعياً وفضولياً كما أرادته أن يكون.

لم تذكر لها ريبيكا شيئاً عن ذهابها عندما التقتا. فربما

كان قرارها مفاجئاً كي تتسنى لها فرصة التفكير جيداً قبل الارتباط بهذا الزواج، وهذا الرجل، تمنت سين ذلك بإخلاص، فريبيكا ما زالت صغيرة لترتبط بزواج لم تكن متأكدة منه مئة بالمئة، مع أنها شكت بأن وولف سيرى الأمر بنفس الطريقة خاصة إذا كان للأمر علاقة بما قالته سين للفتاة، مما جعلها تعيد التفكير في هذا الموضوع. قد تكون مخطئة كلياً بالموضوع، وربما ستعود ريبيكا وقد أدركت كم هي محظوظة بالزواج من شخص مثل وولف. وبعد كل شيء يبقى السؤال عن ذلك البستاني...

«هذا ما أردت أن أكلمك عنه.» وهز وولف رأسه: «كانت ريبيكا تحت ضغط شديد خلال الأشهر الماضية بسبب خطوبتنا وأمور أخرى» وأكمل بخفة: «إذا كانت لديك أية أسئلة عن ترتيبات الزفاف في الأيام القادمة القليلة ربما تستطيعين المجيء إليّ؟»

قالت لوولف بنفاد صبر: «أنا لا أعمل عادة خلال عطلة نهاية الأسبوع، وكان في إمكانك قول كل هذا عبر الهاتف.» وتنهدت عندما أدركت أن رحلتها الثانية اليوم كانت أيضاً مضيعة للوقت. وتناولت حقيبة يدها استعداداً للذهاب وقالت: «ربما كان عندك وقت لتضيعه، يا وولف، إنما أنا...»

أمرها وولف: «إجلسي» وانحنى على مكتبه وكل مظاهر الإسترخاء قد اختفت. «أنا أيضاً لا أملك وقتاً أضيعه.»

تابع بقسوة: «ولم أكن كذلك أبداً.» مكملاً بهدوء ما كان يقوله في ما يتعلق برسوماته. تذكرت سين متألمة: «ماذا حدث لك؟»

في هذا المكتب بعض الرسومات الحديثة، ولكن حتى بنظرة خاطفة لاحظت أن أياً منها لم تكن من رسومات وولف. فسألته: «لِمَ لم تعد ترسم يا وولف؟» وعندما اكفهر وجهه عرفت أنه ما كان عليها طرح مثل هذا السؤال. ولكنها أرادت أن تعرف.

«لقد سبق أن أخبرتك، أنا لا أملك وقتاً لأضيعه.» شهقت سين: «لم تكن رسوماتك مضيعة للوقت.» ضاقت عيناه وقال: «وماذا تعرفين عنها؟»

شحبت سين وبلعت ريقها بصعوبة. لم يكن قاسياً في الماضي، إنما أدركت الآن أنه أصبح في منتهى القسوة. وأنه تعمّد أن يهينها وقد نجح في ذلك: «من الأفضل أن أذهب.»

قال بنفاد صبر: «لم أنته بعد، لا نزال نتأثر بالماضي وهو شيء آخر أردتُ مناقشته معك عدا عن الأمور التي نتباحث فيها باستمرار.» وبدا متجهماً.

قال وولف بعد لحظة: «لقد أدركت بعد أن تركتك البارحة وبعد أن أعدت ترتيب أفكاري...»

اتهمته سين: «لقد تصرفت بشكل لا يطاق!» قالت ذلك وهي تستعيذ وعيها من إهانته. فهي لن تسمح لنفسها بأن يدمرها هذا الرجل مرة أخرى.

لوى فمه قائلاً: «ذلك اننا لم نناقش أمر إخفاء ماضينا عن ريبيكا. طبعاً، هي تعرف خطوبتي لفتاة أخرى منذ سبع سنوات.» وتجمدت نظراته وهو يقول: «كان من غير المجدي إخفاء الأمر عنها.»

قالت سين بازدراء: «بالطبع لا، مع أنه ما كان من الواجب

إخبارها. فلقد كانت هناك قلة من الناس الذين عرفوا بأمر خطوبتنا.» إتهمها وولف بقسوة: «وغلطة من كانت؟»

غلطتها، اعترفت بذلك. فمع أنها كانت أكيدة من حب وولف لها، إلا أنها لم تكن متأكدة في شأن ثروته، مع انه كان يحاول تجاهل ثروته معظم الوقت وأنه من آل ثورنتون وعرف طفولة مميزة أكثر منها، ولم يعرف كيف يكون شعور المرء عندما يريد شيئاً ما بقوة وعندما يحصل عليه، يخاف من فقدانه، حب وولف كان هكذا بالنسبة إليها. وعندما استعادت الماضي تبين لها أنها كانت حكيمة في الإنتباه إلى أي خطوة قاما بها معاً، ولكن لم يحدث ذلك. تنهدت بثقل: «هذا كله أصبح من الماضي يا وولف.»

أومأ بجفاء: «لا أستطيع أن أضيف أكثر» وأضاف محذراً: «وأريد الأمر أن يبقى هكذا.»

أخبرته سين مؤكدة: «إعتبر أني نسيت.» مع علمها أنها لن تنسى ذلك. ومن تعبيره الغاضب عرفت أنه أيضاً لن ينسى ولكن لدوافع مختلفة عن دوافعها. «والآن أنا...» وتوقفت فجأة عندما فتح باب وراءها.

فمنذ ان توجهت إلى المكتب في الخامسة والنصف كانت أغلبية الموظفين يغادرون، وقد أمر وولف سكرتيرته بالمغادرة. إذاً من كان هذا الذي دخل دون أن يعلن عن نفسه بمثل هذه الألفة؟ نظرت سين نظرة واحدة إلى الباب وعرفت على الفور من له الجرأة على القيام بعمل كهذا. إنها باربرا.

لقد مرت سبع سنوات منذ آخر مرة رأت فيها هذه المرأة، ولكن تستطيع التعرف إلى باربرا الجميلة في أي مكان، شعرها ما زال أسود ولكنه أقصر من قبل وقسماتها الرائعة

ما زالت فتية على الرغم من أنها في الثالثة والثلاثين الآن. وكانت ترتدي فستاناً أسود. يظهر كل البراعة والأناقة التي تعلمتها من خلال السنين التي عاشتها كعارضة من الطراز الأول. نعم، سين تستطيع التعرف إلى باربرا الجميلة في أي مكان.

قالت المرأة الأخرى: «آسفة، يا وولف» بدون أن تعني حقيقة الإعتذار «لم أدرك أن معك شخصاً آخر.» وابتسمت لسين ابتسامة عابرة، ففي النهاية هذه المرأة لم تكن لتتصرف بطريقة أفضل حتى لو أدركت أن وولف برفقة أحد ما، وكان من حقها تماماً أن تدخل إلى مكتبه بغير استئذان.

فكونها أرملة اليكس ثورنتون، منحها الحق بنصيب كميراث لها في صناعات آل ثورنتون، فربما كانت محقة في ذلك! ولكن كما تعرف سين لم تكن باربرا في حاجة إلى هذا النصيب لتشعر بمثل هذا الحق المكتسب في حياة وولف!

التفتت باربرا إلى وولف وقالت: «أردت فقط تذكيرك بأن العشاء في الثامنة.» وتوقفت فجأة واستدارت بحدة نحو سين وانقطعت أنفاسها عندما أمعنت النظر فيها: «أنت؟» اتهمتها بعينين خضراوين متسعتين من التذكر. لم يكن هناك أي استلطاف بينهما. فلقد عاملت سين ببرودة بعد أن عرفهما وولف منذ سبع سنوات.

لم تنزعج سين من تصرف المرأة الأخرى، فمنذ أن عرفها وولف إلى العائلة عرفت أنهم لن يستقبلوها بأيد مبسوطة، وأنها لم تكن الخيار الأنسب لوولف، وأنها لا تصلح كزوجة لواحد من ورثة آل ثورنتون. كانت، اثناءها

تعمل موظفة استقبال في واحد من فنادقهم. ولم يكن لها عائلة، كما كان وضعها الإجتماعي عادياً. فكان من الطبيعي ان تعامل بغير ود، وقبلت سين بذلك، اي بأن يعاملوها بحذر لبعض الوقت إلى أن يتأكدوا أنها أحبت وولف شخصياً وليس ماله.

لم يأبه وولف لما قالته عائلته. فقد أخبرهم بأنه سوف يتزوج منها وهذا ما ينوي فعله، إذا وافقوا عليها أم لم يوافقوا. فقط باربرا تصرفت بعدوانية تجاه سين منذ النظرة الأولى، وعرفت سين من نظرتها الآن أن ذلك الشعور لم يتغير قط. ولكن سين كبرت سبع سنوات الآن.

لقد وبخت نفسها لهذه المشاعر، لقد أصبحت سيدة أعمال الآن حتى لو كانت أعمالها أقل بكثير بالنسبة لمقياس صناعات آل ثورنتون.

قابلت نظرة المرأة الأخرى بثبات عارفة أن باربرا وإن كانت لم تتغير كلياً، فهي قد تغيرت إلى حد ما. ولن تسمح لنفسها بأن تخاف أي فرد من هذه العائلة القوية، إلى جانب ذلك، كانت قد أدركت منذ حوالي يومين انها سوف تلتقي باربرا من جديد بغير محالة. لم تعجبها الفكرة ولكنها عرفت أن ذلك لا بد وان يحصل.

باربرا في الوقت الحالي ما زالت تبدو مذهولة لرؤيتها بعد كل هذا الوقت. حيتها بجفاف «باربرا.» وأضافت بخفة: «تبدين بخير.»

«أنا!» وقطعت باربرا كلامها، مرتابة في رباطة جأش سين، وأدارت عينيها اللامعتين إلى وولف: «لم تخبرني أنك ولوسيندا التقيتما مجدداً.»

ووجدت صعوبة في ضبط نبرة صوتها الحادة لكي لا تبدو وكأنها تتهمه. باربرا وكلوديا والدة وولف أصرتا في الماضي على استعمال اسم سين بالكامل ما أن علمتا أن سين هو تصغير للوسيندا، وادعتا انهما لا تحبان تصغير الأسماء، واسم سين يدعو للإرتياب! لم يعجب وولف ذلك، ولكن لم تشأ سين أن ينشأ خلاف بخصوص ذلك مع أنها كانت تجفل في كل مرة ينادونها باسم لوسيندا، كان يذكرها بسنواتها الطويلة في الميتم. كم كانت تثق بسذاجة في ذلك الوقت، فهي لا تستطيع الآن أن ترى إلى ما كانت تهدف إليه المرأتان القويتان. فقد أرادتا بقاءها بعيداً عنهما، وليشعراها بأنها غير مرغوب فيها بينهم.

أخبرت المرأة الأخرى: «إسمي سين أو آنسة سميث.» قبل أن تلتفت إلى وولف مجدداً، وولف الذي جلس ينظر إلى كلٍ منهما بعينين متقاربتين ربما بانتظار أن يراهما يمزقان أعين بعضهما البعض.

قالت ببرودة: «أعتقد أن أمورنا سويت لليوم.» وعلمت من حركة فمه وعينيه المتقاربتين أن ذلك نذير سوء، إذ أن ما قالته لم يعجبه اطلاقاً.

قالت باربرا بحدة: «عمل؟ ما هو نوع العمل الذي يمكن أن يجمعكما؟»

قاطعتها سين بنفاد صبر: «علي حقاً الذهاب.» متضايقة من هذه العائلة التي تفترض أن لا عمل لديها هذه الليلة سوى الوقوف والإستماع إليهما.

أضافت بقصد عندما رأت عيني وولف تتساءلان: «يجب أن اذهب إلى المنزل.» وأخبرت المرأة الأخرى بجفاء: «لقد

كان من المثير رؤيتك مجدداً يا باربرا» وبدت باربرا مذهولة من هذه المواجهة.

قالت باربرا بارتياب: «مثير؟ وولف أنا لم...»

قالت سين وهي تغادر الغرفة: «إلى اللقاء.» ولكنها وجدت نفسها تتوقف فجأة عندما أمسكت يد أليفة بذراعها: «ماذا تريد الآن، يا وولف؟» سألته باستغراب عندما استدارت لتواجهه في الممشى ومنتبهة إلى نظرات باربرا في المكتب.

نظر بتمعن إلى وجهها الشاحب وسألها عابساً: «هل تتناولين العشاء معي الليلة؟» فتحت سين عينيها باتساع وعبست: «ولكنني اعتقدت أن باربرا قالت إنكما ستتناولان العشاء معاً الليلة؟»

«لقد عملنا الترتيب منذ ساعة.» وتمتم وولف بكسل: «لست مجبراً على الذهاب.»

لقد علم بعد الظهر فقط أن خطيبته ستغيب عن المدينة لبضعة أيام ولكنه قام فوراً ببعض الخطط مع باربرا. لم يتغير أي شيء كما يبدو.

«أنا لن أتناول العشاء معك حتى لو كنت أموت جوعاً.»

أخبرته سين بذلك باحتقار ونزعت يدها بقوة: «إرجع إلى باربرا.» نصحته بقرف: «فكلاكما يناسب الآخر.»

«سين...»

«دعني وشأني يا وولف!»

انذرته نبرة صوتها بأنها سوف تقوم بعمل جسدي مدمر إذا لم يفعل، فتركها فجأة... مع أنها كانت واعية لمراقبة باربرا لها بينما عبرت الممشى بخطى راسخة لتصل إلى

المصعد، وضغطت على الزر بقسوة، ثم دخلت المصعد ما أن فتح بابه، وتلاقت نظراتهما قبل أن يغلق الباب بصمت وتنزل إلى أسفل المبنى بهدوء. تمنت سين لو أن أفكارها تتناسق بمثل هذا الهدوء. لم تكن تستطيع أن تحتمل وولف وباربرا!

منذ سبع سنوات فسخت سين خطوبتها من وولف. وهي متأكدة من حقيقة أنه على علاقة بباربرا وأنهما كانا كذلك منذ الأيام الأولى لزواجها من أليكس. وباتت متأكدة الآن أنهما ما زالا على علاقتهما القديمة على الرغم من خطوبته لريبيكا. لو أنها علمت فقط إلى أين ذهبت ريبيكا في عطلة نهاية الأسبوع لكانت لحقت بها وأخبرتها كم هي محقة بعدم زواجها من وولف وأنه عليها إعادة خاتمه اللعين إليه. كما فعلت سين ذات مرة.

الفصل الخامس

قال وولف: «أريد أن أعرف تماماً ما تعرفينه عن مكان ريبيكا.»

حاولت سين أن تسيطر على انفعالها بعد أن فاجأها وولف بكلامه هذا، ما ان فتحت له باب الكوخ. لقد كانت تنتظر شيئاً من هذا القبيل طيلة اليوم، منذ أن أفسد هدوء يوم عطلتها في الساعة العاشرة صباحاً عندما تلقت مكالمة هاتفية من ريبيكا هاركورت، تمنت وليس للمرة الأولى، لو أن رقم هاتف منزلها وهاتف عملها لم يطبعا على البطاقة التي أعطتها لريبيكا في لقائهما الأول، وإلا لما وجدت وولف يقف على بابها.

دعته إلى الداخل. «يحسن بك أن تدخل.» كانت خائفة حين تراجعت إلى الوراء لكي يمر.

تمتم بنفاد صبر: «أنا.» وهو يتبعها إلى داخل الكوخ، وكاد رأسه أن يرتطم بإطار الباب المنخفض.

قال بقصد إذلالها: «لم أدرك أنك تعيشين في منزل الأقزام السبعة!» واخفض رأسه ليتفادى ارتطاماً آخر.

إرتفاع الغرف القليل وضيقها كانا أحد أسباب سين الرئيسية التي ساعدتها على استئجار الكوخ، فلم يكن هناك العديد من ذوي الاحجام الصغيرة ليشعروا بالارتياح للعيش هنا.. فلا يحبذ العديد من الرجال فكرة أن يتجولوا دائماً منحني الظهر داخل بيوتهم.

بدا وولف مثيراً للسخرية، فطوله وحجمه جعلاه يبدو كعملاق داخل بيت الأقزام السبعة. ولم يكن هناك من رجال يدخلون إلى هذا الكوخ. جلس بقلق على أحد المقاعد. وقد أخذت أرجل المقعد تهتز من ثقله، حتى الأثاث قد اختير ليناسب هذه الغرف الصغيرة. نظر إلى سين ونبهها بقسوة: «حسناً!»

نظرت سين إليه وكانت لا تعاني من حجم الكوخ. وكلاهما يرتدي ملابس عملية في هذا اليوم، وهذه الملابس هي وحدها القواسم المشتركة بينهما.

كان وجه وولف مقطباً، لاحظت سين ذلك بوضوح، كانت تعرف ما يريد قوله. طبعاً عرفت، ولكنها لم تعرف كيف ترد عليه ولم تكن تعرف مدى معرفته بأمر ريبيكا...

قالت بخفة: «لقد كنت على وشك تحضير فنجان من القهوة، هل تريد واحداً؟» رد وولف بحدة: «كلا. أنا لم آت إلى هنا لشرب القهوة يا سين. لقد أتيت من أجل بعض الأجوبة. أخبرني جيرالد انك تلقيت هذا الصباح مكالمة هاتفية من ريبيكا، تطلب منك إبلاغه بألا يقلق بشأنها وأنها بخير ولكنها قد تطيل غيبتها إلى أكثر من بضعة أيام. وأن الزفاف قد ألغي.»

كانت سين لا تزال شبه نائمة، عندما ردت على جرس الهاتف في ذلك الصباح الباكر. وكانت قد أمضت ليلة مرهقة، وما زالت متوترة من تلك المقابلة مع وولف وباربرا في مكتبه. ولكنها استيقظت على الفور عندما عرّفت ريبيكا عن نفسها عبر الهاتف، ومع ذلك لم ترد ريبيكا أن تفسح المجال لسين بالتكلم. أرادتها فقط أن تصغي، وبعد ذلك

تنقل الرسالة إلى والدها. وعندما اعترضت سين على الرسالة التي تلقتها، اقفلت ريبيكا الخط.

اندهشت سين. ماذا كان عليها أن تفعل الآن؟ كانت تعرف امراً واحداً هو انه لم يكن في نية ريبيكا أن تتصل بوالدها وتتكلم معه بنفسها. إذاً، إن لم تتصل سين بـ فسوف يشعر بالقلق حيال ما قد يحصل لريبيكا التي لن ترجع إلى البيت بعد قيامها بزيارة صديقة الدراسة وعندما يتصل بتلك الصديقة سوف يكتشف انها لم تذهب إلى هناك. لم تحب سين الموقف الذي وضعتها فيه أبداً وتمنت من جديد لو أنها لم تسمع بعائلة هاركورت. ولكن بما أنها سمعت بهم، وقد وثقت بها ريبيكا وكلفتها بمهمة اطلاع والدها على الأمر، لم يكن أمامها من خيار سوى الاتصال بجيرالد. ولقد صدم بما قالته. وقد أراد معرفة مكان ريبيكا، ولكن سين لم يكن لديها أية فكرة عن مكانها. لم يأخذ وولف وقتاً طويلاً بعد ذلك لكي يقرر أن سين تعرف أكثر مما قالت لهم.

هزت سين كتفيها قائلة: «هذا ما أخبرتني به ريبيكا بالضبط لأخبر والدها.» وقطبت جبينها عندما أحست بأنها لم تف بالغرض. ولكن ريبيكا كانت مصرة على أنها لا تملك أكثر من ذلك لتقوله. وهكذا فما كان في استطاعة سين أن تقول أكثر من ذلك.

نظر إليها وولف قائلاً: «لماذا سين؟ لماذا اختارتك ريبيكا أنت بالذات دوننا جميعاً! جيرالد هو والدها وأنا.. أنا كنت... خطيبها.» بلعت ريقها بصعوبة واقترحت بخفة: «ربما لهذا اختارتني. انتما كنتما قريبين بينما أنا...»

حثها وولف عندما ترددت: «نعم؟»

«أنا أيضاً لا أعرف لماذا اختارتني يا وولف» ولمعت عيناها وتابعت: «عليك أن تسأل ريبيكا عن هذا... ألن تفعل؟»

ذكرها بنعومة: «ولكنني لا أستطيع. فهي ليست هنا، أنت هنا!» وتمنت لو أنها لم تكن هنا! عرفت أنها ستحصل متاعب بسبب تصرف ريبيكا، وحاولت أن تفكر ببعض الأجوبة التي تستطيع أعطاءها لوولف لأنه سوف يأتي إلى هنا ويسألها! ولكن في الحقيقة لم تكن تملك أياً منها، من دون أن تخون ثقة ريبيكا بها. ولم تكن لتفعل ذلك!

هزت كتفيها قائلة: «لقد أخبرتك بكل ما أخبرتني به» كان وولف يراقبها بعينين حادتين: «كل شيء!» لم تستطع أن تنظر في عينيه الآن. نعم لقد أخبرتهم كل ما اخبرتها به ريبيكا ولكن ليس كل ما تعرفه! وكان وولف ذكياً إلى درجة أنه ادرك هذا. لم ترد ريبيكا عندما سألتها سين ان كانت تفضل ان تبقى وحيدة من دون معرفة والدها عن مكانها. ولكن سين كانت في غاية الشوق لمعرفة قدوم البستاني الشاب إلى العمل يوم الإثنين صباحاً. هذا كل شيء. كررت سين بحدة: «حقيقة، ليس هناك شيء آخر استطيع اخبارك به.»

أخبرها بينما هم بالقيام: «ولكنني ارفض هذا، سين» ومرة أخرى احنى رأسه لكي لا يرتطم بالسقف المنخفض: «أردت أن أتكلم معك بشأن ليلة أمس.»

أخذت سين تكتشف أن الغرف الصغيرة في هذا الكوخ لها مساوىء أخرى. فالمساحة الصغيرة جعلت وولف يبدو

قريباً جداً ومسيطراً جداً بقامته الهائلة وخطراً إلى درجة ما! يقال، أن وسيلة الدفاع الأفضل هي الهجوم!

حسناً، إذاً من الأفضل لها أن تهاجم وبسرعة، لأن وسائل دفاعها بدأت تهتز!

سألته بإزدراء: «لقد الغت خطيبتك للتو زفافها وتريد أن تتكلم معي؟ اعتقد أنه عليك أن تتكلم مع ريبيكا!»

هز رأسه قائلاً: «ولكنني لا أعرف مكانها بينما أعرف مكانك أنت.» بلعت سين ريقها بصعوبة: «ليس عندي ما أضيفه بشأن ليلة أمس. في الحقيقة، أن الزواج قد ألغي.» فهي لن تتكلم عن باربرا ولن تعرض نفسها إلى مثل ذلك التعذيب الروحي مرة أخرى! «ولا أرى أي سبب لكي يكون بيننا أي اتصال. إلا إذا غيرت ريبيكا طبعا رأيها بشأن الزواج، ففي هذه الحالة سوف أكون في غاية السعادة لكي اتكلم معكما من جديد.» تذمرت سين عندما أمسك بها فجأة وضمها إلى صدره. وملامح وجهه تبدو صارمة: «إخرسي يا امرأة... إخرسي.» وزفر قبل أن يخفض رأسه ليقبلها. تمنت سين لو انه يتوقف عن فعل هذا لأنها لا تستطيع مقاومته. لقد احبته. ذات مرة. ذات مرة؟ ما زالت تحبه. أدركت ذلك وهي تكاد تشعر بالغثيان. كيف يمكن أن يحصل هذا؟ كيف يمكن لها أن تستمر في حب هذا الرجل؟ هذا الرجل الذي لم يكتف بخيانتها فقط وإنما بخيانة الفتاة التي كان على وشك الزواج منها؟ لم تعرف كيف، ولكنها عرفت فقط أنها لم تتوقف عن حبه، فعلى الرغم من كل ذلك لقد أحبته! لقد كان السبب في انها لا تملك أي شعور يتعدى الإعجاب بأي رجل آخر.

انتزعت نفسها بعيداً عنه، وأصابعه مغروسة في ذراعيها ليمنعها من الحركة، وملامحه مذهولة عندما نظر إليها مستفهماً فسألته بقسوة: «ماذا دهاك يا وولف؟ ألا تستطيع أن تبقى بدون امرأة في حياتك لعدة ساعات!»

قال لها متعجباً: «ماذا...»

اتهمته سين بقرف: «ذهبت خطيبتك في عطلة ليلة امس، فدعوت، لا امرأة واحدة فقط بل امرأتين لتشاركانك العشاء. واليوم عندما بدا أن ريبيكا طلبت الغاء الزواج لم تلحق بها، مدعياً أن حبك لها لم يمت وتقنعها ان مستقبلكما معاً، أو... كلا. بل اتيت إلي. يبدو أن ريبيكا قد قامت باتخاذ قرار سليم!» كما فعلت هي... قالت لنفسها بغضب.

تركها وولف كأنما قد احترقت يداه وملامح الذهول استبدلت بغضب عاصف بينما هو يستمع لكلامها الجارح. ولكن سين كانت أبعد من أن تهتم كيف يشعر حيال كلامها. هذا الغضب لم يكن من أجل ريبيكا فقط، بل من أجلها أيضاً، من أجل كل الألم الذي سببه لها وولف وكل وجع القلب الآتي. فنسيان وولف هذه المرة أصعب بكثير من المرة الماضية!

قالت بكرامة متزنة: «والآن أخرج من هنا، أخرج وابق هناك.»

قال لها وفمه مشدود بقوة: «أنت تغيرين الأمور لتناسب ما تؤمنين به.»

فردت وعيناها تلمعان: «أريد أن أؤمن بأنك ستخرج من هذا الباب.»

«سين...»

«لماذا لم تسأل نفسك لِمَ أريد أن أؤمن بهذه الأمور؟»

تحدته وعيناها تلمعان بدموع متحجرة. لم تكن لتبكي امامه. «هذا لأني لا أريدك هنا. أنا لم أردك ابداً أن تكون هنا. أنا لا أريدك» وهذه الكلمة الأخيرة خرجت من فمها بقسوة شديدة لأنها ارادت ذهابه مع علمها أنها لا تستطيع منعه لو أراد البقاء. ولكن لِمَ عليه البقاء في مكان كان من الواضح أنه غير مرحب به فيه؟

لمعت عيناه بعدائية ظاهرة وتحجر وجهه للحظة: «علينا أن نتكلم.»

«ليس لدينا ما نقوله. إذهب وابك على كتف امرأة اخرى!» كتف باربرا كانت دائماً حاضرة للإستماع إلى متاعبه. وأي شيء آخر يختاره ليكلمها عنه.

توتر فم وولف: «كما أشرت الآن، أنا لست في حالة يرثى لها بسبب الغاء الزفاف وهذا بسبب...»

«لأنك لم تحبها!» انهت سين باتهام: «كنت اعرف ذلك... أنت غير قادر على حب أي كان! لهذا السبب أنا...» وتوقفت عن الكلام لأنها كانت على وشك الإعتراف بأنها شجعت ريبيكا على التفكير بجدية قبل أن تورط نفسها بزواج لم تكن واثقة منه، بدا أن هذا هو العذر الذي يريده وولف لكي يمزقها ارباً.

استفسرها وولف برقة: «نعم؟»

لم تعد وجنتاها شاحبتين، واستبدلت كلماتها مدافعة عن نفسها: «لهذا السبب لم اتزوج منك منذ سبع سنوات.» لاحظت من عينيه المتحجرتين أنه كان غاضباً جداً، حسناً، هي أيضاً غاضبة من طريقة تفكيره بأنه يستطيع الرجوع إلى حياتها...

صاح بقسوة: «حسناً يا سين، سوف أذهب، ولكن إذا ما اكتشفت ان لك علاقة بهروب ريبيكا فسوف...»

لم تكن سين تعرف ماذا بالضبط سيفعل بها لو عرف أنها تكلمت مع ريبيكا! لأنه استدار في تلك اللحظة بخطوات سريعة نحو الباب وبدا واضحاً انه نسي أمر السقف المنخفض.

عندما ارتطم رأسه بذلك الإطار، علقت قدمه أيضاً بشيء ما فانبطح على أرض الغرفة وتفادى ارتطام رأسه مرة اخرى بالمرآة المثبتة على الجدار المواجه. لقد جرى ذلك في ثوانٍ فقط. ووقفت سين عاجزة عن الحركة وهي تشاهد تتابع الحوادث، حائرة بما جرى. ولكنها تحركت على الفور عندما ادركت أن وولف لا يستطيع أن يقف على رجليه.

كان ممدداً على السجادة عبر الغرفة، وتعجبت من حقيقة كونه قد استطاع أن يتفادى الإرتطام على أي من قطع الأثاث، فالأريكة ذات المقعدين خلفه، وطاولة القهوة امامه.

أزاحت سين على الفور طاولة القهوة، وجثت على ركبتيها إلى جانبه، كانت عيناه مغمضتين ولم يكن يتحرك، آه، لم تمت، اليس كذلك؟ ماذا يجدر بها فعله مع شخص مات؟ ربما عليها الاتصال بالاسعاف؟ لتستدعي طبيباً على الأقل؟

عندما رفعت السماعة للإتصال بالطبيب اكتشفت أن الخط مقطوع. ولم تنفع كل محاولاتها بالضغط على ازرار الآلة.

«أنت تضيعين وقتك بذلك. إنه الشيء الذي أوقعني.» قوة صوت وولف في الغرفة الصامتة كادت تجعل سين توقع السماعة وتغيب عن الوعي هي الأخرى.

التفتت صوبه بعينين متسعتين، وارتاحت لرؤيته ينهض.

ولكن من تقطيب وجهه عرفت كم يعاني من الألم. وضعت السماعة مكانها، وسألته: «كيف تشعر؟»

«كيف...؟» حاول سحب نفس عميق وهو ينظر إليها. «كيف تعتقدين أني أشعر مع وجود نصف ميل من شريط الهاتف ملفوف حول كاحلي!»

فهمت سين سبب ملاحظته الأولى. فشريط هاتفها لم يكن فقط ملتفاً حول كاحله ولكنه في الحقيقة انتزع اداة الوصل من تجويف الحائط، فلا عجب إذن أن يكون خط الهاتف مقطوعاً، ومن الصعب إحضار طبيب. أخبرته بسرعة وهو يحاول الوقوف: «كنت احاول مساعدتك. لا أعتقد أنك تستطيع الحراك حتى يكشف عليك طبيب.» ومن الواضح أنه كان يشعر بالألم في مكان ما من جسمه عندما تأوه قليلاً. وأخبرته: «لقد كنت غائباً عن الوعي لثوانٍ فقط» ووضعت يدها على كتفه لتمنعه من الحراك أكثر: «لم أكن غائباً عن الوعي ابداً، يا سين» لم يكن تعبير نفاد الصبر الذي ارتسم على وجهه، ولكن وهج الغضب عاد إلى عينيه: «لقد كنت ملقى هنا وعيناي مغمضتان، أعد للمئة حتى لا أخنقك فوراً بسبب حقيقة انك دائماً تسحبين شريط هاتف طوله ميل لكي تنتقلي من غرفة إلى غرفة وأنت تتكلمين في الهاتف!»

تراجعت إلى الوراء كما لو لدغت، واحمر وجهها عندما تذكرت هذه الحقيقة. كما يبدو فإن وولف تذكرها أيضاً، إذ أنه منذ سبع سنوات خلت طلب أن يأتي مهندس إلى شقتها ليركب شريطاً أطول للهاتف، بعد أن كانت تنتقل من غرفة إلى غرفة وهي تتكلم في الهاتف، ونزعت مقبض الهاتف

عدة مرات وقطعت الاتصالات. لقد كان من دواعي استغرابها ان هذا الرجل عرفها جيداً.

اكمل وولف بنفور بعد أن تمكن من فك الشريط عن قدمه: «واضح انك تحتاجين لنصف ميل زيادة من شريط الهاتف في بيت اللعبة هذا.» وبنفاد صبر رمى الشريط إلى جانبه «ولكن يكفيني أنه كاد أن يدق عنقي بسببه!»

لم تشعر سين بأن الوقت مناسب الآن لتخبر هذا الرجل انه في كوخ، وأن الأكواخ من المفترض أن تكون صغيرة. نموذج كما سماها وكيل العقارات. وحدث أنها احبته كما هو. وبدا ان الحظ لم يعد يحالف سين كثيراً مؤخراً، لو أن الأمور سارت كما تشتهي لما كان وولف الآن خطيباً لريبيكا هاركورت أولاً، وثانياً لم تكن لتقابله من جديد أبداً. ولكنها قابلته من جديد وها هو الآن ملقى على أرض غرفة الجلوس في بيتها، وكما يبدو لا يقدر على النهوض. وأدركت ذلك برعب عندما حاول النهوض واستطاع ان يطلق تأوهاً من الألم مرة أخرى. كانت جاثية إلى جانبه تنظر برعب وبدا انه في حاجة إلى طبيب.

«أين تشعر بالألم؟» وعبست: «هل هو رأسك؟»

تمتم بنبرة متألمة: «رأسي فيه تورم بحجم بيضة» بعد أن وضع يده على جانب رأسه واكتشف التورم هناك وقال: «ولكن ربما ذلك سيوقظ بعض الإحساس بداخلي! يبدو أن كاحلي هو الذي يمنعني من الوقوف.» هز رأسه منزعجاً من قلة قدرته، التي لا تعينه على القيام بشيء بسيط كالوقوف على رجليه، نظرت سين إلى الكاحل المصاب. وانتبهت إلى أن جوربيه أسودين. يبدو واضحاً أنه لم يعد

فوضوياً يرتدي جوارب كل منها بلون. عرفت أنه من الغباء منها أن تلاحظ ذلك ولكنه على الأقل تنبيه آخر إلى أنه غير الذي عرفته في الماضي والذي كانت تذكره دائماً بأن ينتبه إلى ألوان جواربه... وإلا كان يخرج بجوارب ذات ألوان مختلفة.

رد عليها وولف عندما تنبأ بما تفكر: «لقد حللت تلك المشكلة بشرائي جوارب سوداء فقط.» اولته نظرة حادة وقالت مرتبكة ونظرت بعيداً لكي تتحاشى نظرته المتهكمة: «أنا أكيدة من أن ذلك أفضل وهي تناسب بذلاتك الخاصة بالعمل.» وولف الماضي لم يكن متعقلاً أبداً. لم يكن يرتدي بدلات العمل أيضاً.

مرة أخرى عجبت سين لما جرى له خلال السبع سنوات الماضية ورفضت أن تصدق، بدون الإلتفات إلى ما قاله متناقضاً مع ذلك، ان ذلك له علاقة بها. ولم يكن شيء مما فعلته قد حوله إلى رجل أعمال. وهي لم تكن تريد ذلك. لقد كانت فخورة برسوماته ومتأكدة من نجاحه.

أضاف وولف مقطباً: «أتمنى لو كل المتاعب تحل بمثل هذه السهولة يا سين.»

«لنر إذا كان في استطاعتي مساعدتك على التحرك!» قالت بنشاط وهي تقف وتنحني وتضع يدها تحت إبطه. «ولكن إذا لم أستطع والهاتف لا يعمل، سوف يكون عليّ الذهاب لإحضار طبيب إلى هنا.»

لم يحاول وولف الحركة ولكنه جلس ينظر إليها عن كثب: «هل انتهى الحوار؟» إستفزها بقوة.

رفضت سين أن تنظر إليه «الأفضل نسيان الماضي يا

وولف.» قالت له، وببداهة تحركت يده لتمسك بذراعها: «أنا لا أتحدث عن الماضي.»

قالت بخفة: «حسناً، لا تخدع نفسك بالإعتقاد بأنه سيكون هناك حاضر. الشيء الوحيد هنا هو كاحلك المصاب وأنوي إحضار مختص بذلك على الفور.» وتحركت فسقطت يده عن ذراعها. «هل تستطيع على الأقل أن تجلس على كرسي كي استطيع أن أنظر إلى كاحلك بشكلٍ أفضل؟»

لقد كانت متشنجة وعالقة مثله بين الأريكة والطاولة. استمر في النظر إليها لدقائق طويلة مليئة بالتوتر، ثم أومأ ببطء واكفهر وجهه من الجهد الذي بذله ليتحرك، وكاحله كان يؤلمه جداً كما هو واضح.

في الحقيقة، انها عندما نظرت إلى كاحله بعدما جلس على الكرسي، تعجبت كيف أنه استطاع أن لا يصرخ عالياً من الألم الذي تطلبه تحريك رجله. وكان كاحله متورماً. وعرفت أنه إذا لم تنزع حذاءه سوف يكون من الواجب قطع الحذاء من رجله. إشارة أخرى لحياة رجل الأعمال الثري الذي يتمتع بها وولف الآن هذا لا يعني أن ثيابه لم تكن جيدة في الماضي، لقد كانت جيدة ولكنه لم يكن يهتم بما يرتديه. والآن ثيابه كما كل شيء آخر به، تبدو وكأنها قد اختيرت بعناية، إلا إذا كان لا ينتقيها هو بنفسه! باربرا ما تزال مهمة في حياته، ولم تنس سين أن هذه المرأة هي التي زينت منزله منذ سنوات للأوقات التي يكونان فيها معاً.

لم ترد سين التفكير بالأمر، وكان ما زال كل ذلك مؤلماً. قالت له بجفاف: «يجب أن ننزع الحذاء» رفعت قدمه ووضعتها على ركبتها وتمتمت: «عفواً» عندما زمجر بألم

من علاجها القاسي. وتحركت بانتباه أكثر عندما فكت شريط الحذاء وحلته لكي لا يضغط على قدمه المتورمة. وبينما هي تسحب الحذاء، شعر بالم أكثر مع أنه لم يقل شيئاً، ولكن تعبير وجهه كان واضحاً.

صرخت به: «لم لا تصرخ وتئن كما يفعل الناس عندما يتألمون؟» ونفد صبرها من تصرفه اللامبالي. لماذا لا يستطيع أن يكون طبيعياً؟ قال بهدوء: «هل سيغير ذلك أي شيء؟»

نظرت إليه وحولت نظرها بعيداً بسرعة عندما رأت الألم على وجهه وتنهدت قائلة من انعدام شعورها بالتعاطف معه: «أنا آسفة.» وجلست القرفصاء. «اعتقد أنه عليك الذهاب إلى المستشفى» وعبست من العطب الذي أصاب كاحله وربما يكون قد كسره. قال وولف: «لقد عرفت ذلك منذ بعض الوقت، ولكن السؤال هل أنت ستنقلينني إلى هناك؟»

«هل...؟ طبعاً سأنقلك إلى هناك!» ونظرت إليه بلوم. كيف يمكن أن يفكر بعكس ذلك. لم تتغير إلى ذلك الحد. قالت بغير اكتراث: «أكره أن أرى أي شخص يتألم.»

قال وولف ببطء: «هكذا وضعتني في مكاني» وأضاف بقسوة على نظرتها المتسائلة: «إذا ما خطر لي أن اهتمامك شخصي.»

لم تزعج سين نفسها بسؤاله، وركزت انتباهها على إخراجه من البيت ووضعه في سيارتها لكي تستطيع نقله إلى مستشفى وست ميدلكس الذي يبعد حوالي خمسة اميال. وهذا بحد ذاته كان صعباً. ولم يستطع وولف أن يمشي على

رجله المصابة، وقد وضع ذراعه عليها متكئاً على كتفها وانحنى بثقله عليها ومشى ببطء إلى أن وصل إلى سيارتها المتوقفة إلى جانب الطريق. «أعتقد أنك سترتاح أكثر في المقعد الخلفي.» وقطبت جبينها عندما أدركت أنه من المحتمل الا يستطيع الصعود إلى المقعد الأمامي. ولكنه يستطيع أن يرمي بنفسه إلى الخلف من دون عناء. وهذا ما فعله وكاد أن يوقعها معه، إذ أنها لم تكن قوية البنية كفاية لمنعه من الاخلال بتوازنها!

شعرت سين بالحرارة عندما تمكنت أخيراً من إجلاسه على المقعد الخلفي، فأي إتصال جسدي بينهما كان كفيلاً باشعارها بذلك. ومن غير المهم كم تحاول أن تقنع نفسها بأنهما لا يصلحان لبعضهما.

قال وولف: «عليك بتحريك سيارتي» وأشار إلى سيارته المتوقفة وراء سيارتها بالضبط.

«حسناً. لم أنو الطيران فوقها!» ونظرت إليه لتذكيره غير الضروري. كانت تعي تماماً ان عليها تحريك السيارة. وكانت منتبهة أيضاً إلى أن الطريق ضيق جداً وسيكون من حظها السيىء لو أن سيارته الثمينة ارتطمت بحائط حديقتها! وكان وولف جالساً يراقبها، إلى أن تمكنت من إزاحة سيارته بشكل يكفي لمرور عربتها إلى الشارع الرئيسي.

لم تحاول التفكير في وولف الجالس في الخلف بينما كانت تنقله إلى المستشفى. وعندما وصلا إلى المستشفى تولى طاقم مدرب أمر وولف. وقد أنزله رجلان قويا البنية من السيارة واقعداه على الكرسي المتحرك وأخذته ممرضة إلى غرفة الفحص وتركوا سين القلقة في غرفة الإنتظار.

بدا أنها ستنتظر هناك إلى الأبد، وبدأت تفكر إذا كانوا قد نسوها تماماً وأحست بالجوع، إذ أنها فوتت تناول الغداء مع وصول وولف المبكر، وفي هذه الحال سوف تفوت تناول العشاء أيضاً!

أخيراً ظهر وولف منقولاً على الكرسي المتحرك إلى غرفة الإنتظار وكاحله مضمد، ولكن لحسن الحظ لم يكن مجبراً مما يعني أنه لم يكسر عظامه، مع أن وجهه بدا متجهماً أكثر من أي وقت مضى. واعتقدت سين أن ذلك بسبب الألم الذي عاناه خلال الفحص والعلاج الذي أعطي له منذ قليل.

قالت الممرضة بسرور: «لا شيء مكسوراً.» دفعت الكرسي إلى جانب سين. وقدمت الممرضة له عكازين «ان زوجك سيكون في حاجة لهما هذه الفترة. ولكن لا تعتمد عليهما كثيراً في اليومين الأولين يا سيد ثورنتون. فأنت في حاجة إلى الراحة حتى يزول الورم.» واكملت الممرضة عبارتها هذه بعبوس قبل أن تذهب إلى المريض الثاني. وقفت سين تنظر إلى وولف بصمت، متجاهلة عمداً الملاحظة التي قالتها الممرضة الشابة معتقدة أن وولف زوجها لأنها هي التي اتت به إلى المستشفى مع أنها احست بخديها يحترقان من هذا الخطأ. ولكن لم يحرج وولف من الملاحظة، فلماذا هي؟

ماذا عليهما فعله الآن؟ من الواضح أن إصابة وولف لم تكن خطرة إلى درجة تستدعي دخوله المستشفى، ولكنه لا يستطيع في الوقت نفسه أن يعود إلى شقته بمفرده. ولكن مع ذلك، ففكرة نقله إلى بيت والدته، واحتمال رؤية تلك المرأة

مرة أخرى تبدو أسوأ ورؤية باربرا من جديد ملأتها بالخوف. ولكن لم تكن في حاجة إلى ان تقلق. بدا أن وولف عنده حل لتلك المشكلة. «سيكون عليك نقلي إلى كوخك لبضعة أيام طبعاً.» ولم يكن من المحتمل أن يبقى في كوخها معها، لأي فترة من الزمن!

الفصل السادس

«ليس عندي مكان آخر أذهب إليه.» أخبرها وولف عندما عادا إلى السيارة وكان في المقعد الأمامي إلى جانبها، وقد تمكّن من ذلك بمساعدة العكازين.

لو أن هذه العبارة جاءت من أي شخص آخر لكانت شعرت بالتعاطف معه وحتى بالشفقة. وربما كان يستحقها كاملة لو كان أي شخص آخر غير وولف. ولكنها عرفت أن ذلك غير حقيقي. فلا بد أن هناك عدة أماكن يستطيع الذهاب إليها غير كوخها.

قال لها بسلاسة بعد أن نظر في المرآة الجانبية: «عليك بالتحرّك، هناك سيارة إسعاف تحاول الوقوف خلفنا.»

كانت سين قد أتت بالسيارة إلى جانب باب قسم الحوادث حتى لا يمشي وولف كثيراً، ورأت بعد لمحة قصيرة من مرآتها الجانبية أنه كان على حق بشأن سيارة الإسعاف: «حسناً، سوف أنطلق اخبرته بذلك بينما كانت تدير محرك السيارة: «ولكنني لن أنقلك إلى كوخي مجدداً.» مضيفة بحدة.

قادت السيارة إلى موقف السيارات وتوقفت هناك، ودارت في مقعدها لتنظر إلى وولف. وتقول له: «إنني أعني ذلك، لن تعود إلى الكوخ معي»، ولم تتضايق من هدوئه: «سوف أنقلك إلى منزل والدتك إذا أردت الذهاب إلى هناك.» عرضت عليه ذلك بتردد واضح. ولكن حتى رؤية باربرا

وكلوديا من جديد كانت أفضل من ذهاب وولف معها إلى كوخها!

لوى فمه كما لو كان واضحاً له بما تفكر، وقال متشدقاً: «هذا كرم كبير منك، وصدقيني اعرف تماماً حجم هذا الكرم، فأنت لم تتفقي مع أمي أبداً!»

عارضته سين بحرارة: «لقد كنت أتفق معها ولكنها لم تحبني.» هل كان هذا عذراً؟ تساءل وولف، وتضايق من ملامح العناد في وجه سين غير المتجاوبة. وقال بشدة: «قد يزعج أمي رؤيتي هكذا.»

مما تذكره سين عن كلوديا ثورنتون أن هذه المرأة تستمتع كثيراً بوجود وولف بين مخالبها المسيطرة، فيغدو غير قادر على الحراك. وهكذا لا يستطيع أن يوقف تدخلها. إلا إذا تغيرت كلوديا! وهذا ما تشك فيه سين كثيراً!

«لم تنس قط الصدمة التي تلقتها بعد وفاة أليكس» اكمل وولف بتجهم عندما لاحظ تعبير سين المرتاب: «لقد عانت من عدة صدمات منذ ذلك الحين، وواحدة أخرى قوية سوف تقضي عليها، ورؤيتها لي الآن بهذه الحالة ستتسبب لها بكارثة.»

لم تعرف سين شيئاً بشأن الأولى حتى لم تتخيل كلوديا على أنها أي شيء آخر غير الآمرة على نفسها وعلى عائلتها دائماً، قصيرة، ومظهرها الأنيق يعطيها انطباع النعومة، وهو مظهر مخادع تماماً كما تبيّن لسين.

لم توافق كلوديا على اختيار ابنها لسين، مع أنها حرصت دائماً على عدم إظهار هذا الأمر أمام ابنها. حقيقة شدّد عليها وولف أكثر من مرة عندما كانا بمفردهما. ولكن

لم تستطع أن تسيطر على طريقة شعورها تجاه والدته. كما كانت أكيدة من أن كلوديا لم تستطع أن تغيّر شعورها تجاهها أيضاً!

قالت سين باقتضاب: «آسفة، لم أدرك ذلك.»

أضاف وولف ببرودة: «لماذا عليك ذلك؟ لقد أردت أن تكوني خارج حياتي فقط.»

قال ذلك ثم اردف فجأة: «الجحيم الذي كنت اعانيه لم... أنسي ذلك» هزّ رأسه: «كما قلت، الماضي هو الماضي، ونبشه لن يغيّر أي شيء الآن.»

لكن كان واضحاً لسين كم أن هذا الأمر ما يزال يزعجه. وربما لم يكن الوقت مناسباً الآن أيضاً للإشارة إلى ذهابه إلى باربرا دائماً!.. ولكن المرأة الأخرى لم تكن من الماضي. ومما رأته سين ليلة أمس ما زالت باربرا حاضرة في حياة وولف. استقامت سين بعدائية، لا تستطيع مقاومة ذلك، مجرد التفكير بباربرا ثورنتون والدور الذي لعبته في ماضيها التعيس يجعل حطام حياتها الماضية يظهر حتى الآن.

قالت بحدة: «باربرا إذاً، سوف تكون سعيدة بوجودك معها» ولوت فمها بقسوة. عندما فكرت كم ستكون المرأة الأخرى سعيدة بذلك.

رد وولف: «انتقلت باربرا للعيش في منزل العائلة بعد وفاة أليكس وبقيت هناك منذ ذلك الوقت.»

ولكن كما هو واضح، فإنك تفضلين ذهابي إلى أي مكان إلا بيتك. فربما من الأفضل أن تعيديني إلى شقتي، سوف أتدبّر أمري بطريقة ما.» نظرت إليه سين بخوف. حتى

جانب وجهه يبعث على عدم الارتياح. ما هو الخيار الذي أمامها، أو الذي سبق أن كان لديها؟

قالت له بنشاط: «طبعاً ستأتي إلى البيت معي» ودارت في مقعدها لتقود السيارة من جديد: «فبرغم كل شيء، لقد كانت غلطتي أنا التي تسببت بهذا الحادث، إذاً فأنا مسؤولة عنك حتى تستطيع الحراك من جديد.» ووجهت انتباهها إلى القيادة باتجاه الكوخ. فهي تستطيع تحمّل أي شيء عدا التفكير في وولف مجتاحاً خصوصية منزلها بهذه الطريقة.

قال وولف بازدراء: «لقد انتهى الأمر بروعة.»

حدّقت به سين بحدّة وحوّلت نظرها بسرعة من السخرية المرحة التي ارتسمت على فمه. كان عليه أن يعلم كم كانت تخاف فكرة وجودها قريبة منه للأيام التالية. كم يوماً قالت الممرضة أن عليه الخلود إلى الراحة؟ بضعة أيام، أليس كذلك؟ لم تدرك سين كم ستطول بضعة الأيام هذه إلا في تلك اللحظة! وكانت عطلة الأسبوع أيضاً. ومن دون التحضير لحفلة زفاف... وهكذا لن تتمكن من إيجاد بديل من الذهاب إلى العمل...!

لم تكن متأكدة في تلك اللحظة مما إذا كان عليها ان تلعن... أو تتوسل! أخبرها وولف بتقطيب وجه: «أحتاج لبعض الأشياء من شقتي... ثياب، وأشياء مثل ذلك، وحقيبتي الصغيرة طبعاً.» وتنهد متثاقلاً.

تمكّنت من إدخاله إلى الكوخ أخيراً، ولم يكن ذلك من دون عناء. مضى كل شيء على خير في الخارج. بدا أن وولف استطاع استعمال العكازين جيداً ولكن عندما دخلا إلى الكوخ ظهرت المشكلات. فلقد كان هناك الكثير من الأثاث

أمامه لم يمكّنه من التحكم بتوازنه جيداً. والسقف المنخفض أزعجه أيضاً. والطريقة الوحيدة التي استطاع الدخول بها إلى غرفة الجلوس، كانت بمساعدة سين التي أزاحت نصف الأثاث إلى جانب الجدران. وهكذا أخلت مساحة له في منتصف الغرفة. مما جعلها تبدو خالية. ولكن سين في النهاية استطاعت أن تريحه على مقعد وثير إلى جانب المدفأة، وقدمه مرتاحة على منضدة والعكازان مسندان على زاوية المدفأة في متناول يده.

وجوده هنا كان أكثر من مبعث ازعاج لسلام عقلها! والآن يقترح أن تذهب إلى شقته لإحضار بعض الأشياء له!.

سألته سين: «هل ما زلت تعيش في المكان نفسه؟» تمنّت العكس، وذلك لاجهاض فكرة ذهابها إلى هناك...

رد برفق: «طبعاً.» ورمقها بعينين حادتين حيث أنها كانت جامدة بوضوح. سألها برفق: «هل هناك مشكلة ما في ذلك؟»

ليس له هو طبعاً ولكن لها...! فلقد أمضت مع وولف في ذلك المكان اوقاتاً سعيدة، وكان وولف يرسم بينما هي...

ردت عليه بتفكير: «كلا. كلا ليس هناك مشكلة في ذلك ابداً.» فهكذا ستتمكّن من معرفة ماذا حصل لرسوماته وما إذا كان لا يزال يحتفظ بمحترفه كما هو. انه تخلّى عنه وعن كل الأشياء الأخرى التي تبدو الآن ضائعة من حياته. أشياء مثل الضحك والمرح، أشياء مثل وولف نفسه...! وقالت سين: «سأذهب الآن، هل تريد ذلك؟» وقفت مستعدة للذهاب.

قال متذمراً: «تريدين الهرب من رفقتي لبضع ساعات أليس كذلك؟ آه، خذي مفاتيحي واذهبي.» واخرج مفاتيحه

واعطاها إيّاها قبل أن يلقي برأسه إلى الوراء واغلق عينيه بارهاق. بقيت سين تنظر إليه لدقائق طويلة، وأصابعها تطبق على المفاتيح الباردة، ولا تدري هل تذهب أم تبقى. بدا تعباً جداً ولم تعرف إذا كان سبب ذلك الألم في كاحله أم شيء آخر. على أي حال ليس بالأهمية، كيف كانت تحتقر ردة فعله من فسخ خطوبة ريبيكا.

ففي النهاية خطيبته تخلّت عنه اليوم أيضاً. قال وولف: «إذا كنت ستذهبين، هيا إذهبي!» فتح عينيه ونظر إليها: «أنا لست في حاجة إلى حضانتك في كل دقيقة من اليوم!» الحضانة كانت آخر ما تفكر به. ولكنها بدأت تشعر كيف أنه قليل الحيلة. ما يصعب عليه تدبر شأنه فيه هو أن الحمام موجود في الطابق الأسفل خلف المطبخ. وهذا ليس بمشكلة بوجودها هنا لمساعدته. أما بمفرده...

«وولف...؟» وعضت شفتها السفلى. زاد نفاد صبره: «فقط اعطني الصحيفة وقلماً لأحلّ الكلمات المتقاطعة وكوباً من عصير الفواكه أو شيئاً آخر من هذا القبيل حتى لا أموت عطشاً.»

أضافت بتهكّم: «ربما لا يكون عصير الفواكه فكرة جيدة، خاصة وأن الحمام في الخارج، وبالواقع...»

تنفس عميقاً: «حسناً لا أريد الجريدة أو القلم لأحل الكلمات المتقاطعة ولا العصير اللعين، سوف أجلس هنا وأنام حتى تعودي! هل هذا يناسبك؟» تحدّاها بقسوة.

«كنت فقط... اعرف ماذا كنت فقط، يا سين.» قاطعها بنفاد صبر: «لكنني لست على استعداد للتعرض للإنزعاج في هذه اللحظة مفهوم؟» ونظر إليها بتجهّم.

نعم، انها تفهم جيداً. لقد كانت تتعرف على طبعه الجديد. كما تعتقد أنها فهمت القديم، فقط يريد أن يبقى بمفرده ولم يرد أي شيء آخر، خاصة ضجيجها حوله. إلا أنها توقفت في المطبخ لمدة كافية لتجلب له شطيرة وبعض الفاكهة. فهو لم يأكل أي شيء منذ فترة، وضعتها على الطاولة بقربه مع عصير الفاكهة الذي طلبه فهو يستطيع تدبّر امره إذا كان يائساً كفاية كما تعرفه.

اكتشفت عندما استدارت لتخبره عن الطعام أنه قد نام، كان وجهه مرتاحاً الآن، وخطوط الألم والتعب قد امّحت، بدا أصغر سناً الآن، يشبه وولف الذي عرفته ذات مرة. كلا. هذا ليس وولف الذي عرفته. أو حتى فكرت أنها عرفته. هذا رجل أعمال قاسٍ، إلى جانب أن وولف هذا قد تخلت عنه خطيبته الثانية ولأسباب شبيهة، إذا ما كان ظهور باربرا في مكتبه امس له أي علاقة بالأمر، فلماذا لم يتزوجها ويتوقف عن توريط الآخرين بهذه المشاكل المؤلمة؟

لسنوات عدّة بعد أن أعادت إليه خاتم الخطوبة توقعت سين تقرأ في الصحف مثل هكذا إعلان. أدركت أن الاثنين لا يستطيعان الزواج على الفور، خاصة أن باربرا كانت ارملة حديثة. ولكن بالتأكيد وبعد فترة مناسبة اجتماعياً يستطيع كلاهما الزواج. لم يكن من المنطقي عدم زواجهما. ولكن لا شيء من مشاعر وولف تجاه باربرا كان منطقياً بالنسبة لها.

أشاحت سين نظرها عنه من دون أن توقظه، تاركة الطعام والشراب إلى جانبه، وعندما يستيقظ يراهما اذا أرادهما. كانت في حاجة إلى أن تخرج لبعض الوقت، بعيداً

عن كل الذكريات المؤلمة. عن أوهامها الزائلة مع وولف. وذهابها إلى شقته ما كان ليؤمّن لها ذلك، وشعرت بنفسها تتوتر أكثر فأكثر عندما أوقفت السيارة خارج المبنى وعبرت الممر لتضغط على جرس الحارس. لم تنس هذا الأمر، فربما تكون قد عبرت كل هذه المسافة لتزجر على الباب. فالشقق في هذا المبنى الأنيق لها شاشة حراسة عند البوابة للأمان من كل داخل وخارج.

لقد كان رجل الأمن نفسه. لم تصدّق سين ذلك، ولكنها تذكرته على الفور. كان جورج كروسلي الأصلع النحيف، ما زال منذ ذلك الوقت الذي كانت فيه ضيفة دائمة لشقة وولف، حتى انه كان لها مفتاح خاص. لقد كبر الآن قليلاً. طبعاً، أليسوا جميعهم كذلك!

«آنسة سميث» حيّاها بسرور بالغ عندما فتح الباب لها. وبابتسامة عريضة: «أنك الآنسة سميث، أليس كذلك؟» بدا الآن أقل تأكيداً حيث أن الوقت تسنّى له ليتذكّر حقيقة أنه لم يرها لسنوات عدة.

«طبعاً أنا هي.» ردّت بحرارة وخطت إلى الداخل. فتذكره لها لا يعني أنه سيسمح لها بالصعود إلى شقة وولف، ولكن بما أنها اصبحت في الداخل سوف يكون صعباً عليه رميها إلى الخارج: «سيد ثورنتون وقع له حادث بسيط.»

«لا شيء خطيراً كما أتمنّى؟»

اكدت له بسهولة: «كلا على الاطلاق ولكنه سيبقى عندي لبضعة أيام. لذا عليّ أن آخذ بعض الأغراض من شقته. هل هذا ممكن؟»

«طبعاً آنسة سيمث» قال بدون تردد: «لقد كانت لديّ

تعليمات مشدّدة دائماً من سيد ثورنتون بأنه إذا أردت رؤيته أن أدخلك على الفور.»

هذه التعليمات كانت منذ سبع سنوات ولم تعد صالحة ولكن وولف لم يغيرها.

حالما تحصل على أغراض وولف لم يكن لديها اهتمام خاص بأن جورج سوف يتعجّب من ظهورها مجدداً بعد غياب سبع سنوات. لم تتوقف في ردهة الاستقبال. لم ترد أن تجعل هذا الرجل المسنّ يستغرب إذا كان يستطيع الترحيب بها بعد هذه الفترة الطويلة، لذا لوحت له بيدها قبل أن تخطو نحو المصعد وتضغط على الزر إلى الطابق الأعلى.

شعرت بمعدتها تخفق في داخلها أكثر مع كل طابق تمر به، وعندما توقف المصعد عند الطابق الأخير شعرت سين بالغثيان!

لم تعتقد أنها ستعود إلى هذا المكان مرة أخرى، إلى مكان سعادتها الكبيرة وإذلالها الكبير.

تغيّر الديكور، السجاد والأثاث أيضاً، مع أن الألوان الخضراء والعاجية الجديدة في غرفة الجلوس لم تكن من اختيار وولف كما كانت في السابق، ولكنها كانت خيبة كاملة لامرأة ذات عينين خضراوين لامعتين!

باربرا زيّنت هذه الغرفة مجدداً لوولف. كانت سين واثقة من ذلك الأمر، السجادة الخضراء الداكنة، والمقاعد العاجية، ورق الجدران الاخضر. والأثاث الأسود، كانت كلها تحمل بصمات باربرا، بشعرها الأسود وعيناها الخضراوين الداكنتين.

هذه المرّة بدا اللون منسجماً في غرفة النوم الرئيسية.

فالسرير الضخم الذي كان يطغى على الغرفة في ما مضى تغيّر الآن إلى سرير بزوايا أربع، حتى أغطيته كانت خضراء داكنة.

نظرت سين في انحاء الغرفة، وهرعت إلى المحترف تنشد الأمان ووجدته. بقي كما كان! تماماً كما كان. ادركت ذلك بوضوح وهدأت اعصابها بعد أن كادت تصاب بالهلع. لم يتحرك أي شيء أبداً... لا شيء...

الرسومات المنتهية تقف إلى الحائط كما تذكرها، والرسومات شبه المنتهية إلى الحائط المقابل، والرسم الذي كان يعمل فيه في المرة الأخيرة حين كانت سين هنا، ما زال شبه منتهٍ على المنصة.

لم يعمل وولف على رسوماته قط في السنوات السبع الماضية! استدارت سين لتغادر الغرفة عندما احسّت بالدموع تترقرق في عينيها. ولكنها توقفت فجأة عندما شاهدت رسمها «الحسناء على الصخر.» الحائط خلف الباب كان خالياً من كل الرسومات عدا رسمها وضوء خاص مسلط فوقه، لاعطائه القدر المستطاع من النور. وعندما انارت سين الضوء لاحظت كم هو مؤثر. احتفظ وولف بهذا الرسم الذي ألهمته به ـ حتى بوضوح أكثر لقد كان هنا على الأقل مرة واحدة خلال السبع سنوات الماضية، ليشرف على تعليق الرسم، ربما كان هو من علّقه.

لماذا؟ جاء سؤالها التالي. اعترفت بأن هذا كان أفضل اعمال وولف، لقد رسمها خلال الأيام الأولى من معرفتهما ببعضها، وهذا كان ظاهراً في كل ضربة فرشاة. لم تستطع سين الوقوف والنظر إليها لمدة أطول. أطفأت النور لترجع

إلى غرفة النوم، وأخذت تفتح وتغلق الخزائن لتأخذ الثياب التي يحتاجها وولف للأيام المقبلة بسرعة، وبالتحديد أبعدت عن تفكيرها خصوصية حقيقة كونها تعرف تماماً أين تجد الملابس والحقيبة لتضعها بها.

لكن مع ذلك ترددت بالخروج بعد أن أعدّت الحقيبة. من الواضح أن وولف لم يعد يرسم ولأسباب لم تكن لتتكهن ما هي، ولكن ربما بسبب قلّة وقت فراغه. لأنه يدير صناعات آل ثورنتون، وسوف يمكث في الكوخ مع القليل من العمل يقوم به للأيام القليلة، إلى جانب طلبه الحقيبة الصغيرة، لم يكن ليفعل الشيء الكثير من دون الهاتف. وبدون أن تتردد بمنح نفسها فرصة للتفكير، رجعت سين إلى المحترف والتقطت حقيبة الأدوات التي كان وولف يحملها معه دائماً إذا ما ذهبا بعيداً لبضعة أيام، وتعلم أن في داخلها كل أدوات الرسم. وأخذت قطعة من قطع الكانفا النظيفة أيضاً قبل أن تترك الغرفة وضعتها تحت ابطها حتى تتمكّن من التقاط الحقيبة بيد وحقيبة يده باليد الأخرى. إذا لم يرد وولف الرسم، فلا بأس، ولكن إذا أراد ذلك على الأقل تكون قد اعطته الفرصة ليحاول إذا ما رغب بذلك. شعرت بالامتنان تجاه جورج الذي عرض المساعدة عندما خرجت من المصعد مع كل هذا الحمل. كانت تستطيع أن تنقل الحقائب على دفعتين ولكنها لم تشأ الصعود إلى الشقة مرة ثانية. فهي تذكّرها بباربرا كثيراً. والمكان الذي احتلّته دائماً في حياته: «بضعة أيام يا آنسة سميث؟» غمزها جورج غمزة عارضة قبل أن يرفع يده ليودعها وهي تقود السيارة إلى

الشارع الرئيسي... لو حاول البقاء عندها مدة أطول، فكرت سين وانفعالاتها ما تزال متأججة نتيجة زيارتها شقة وولف، فانها سوف تنقله إلى والدته وترميه على عتبة بيتها!

«ما هذا؟»

نظرت إليه سين بعد أن وضعت اغراضه لتجده يراقبها عبر غرفة الجلوس الصغيرة. ومن الغريب أنه كان لا يزال نائماً عندما وصلت إلى الكوخ منذ دقائق، واعتقدت أن المهدىء الذي حقنته به الممرضة في المستشفى، كان السبب في ذلك، فلم تكن تتصور أن وولف ينام نهاراً. على الأقل ليس وولف الذي عرفته. وكانت متأكدة أن رئيس صناعات آل ثورنتون لا يملك عادة وقتاً كافياً ليأخذ قيلولة في النهار أو حتى في أي وقت آخر!

حاولت أن تكون هادئة قدر المستطاع وأخذت الطعام إلى المطبخ قبل أن تبدأ بإحضار الأمتعة. ولكن يبدو أنها لم تكن هادئة كفاية. فلقد كان وولف ينظر إليها بعينين متقاربتين الآن وهي تضع الأغراض على الأرض. «قلت ما هذا؟» وكان صوته حاداً الآن وهو يعتدل في جلسته. اولته سين نظرة سخط: «اغراضك طبعاً» قالت بنفاد صبر: «من أجلها كنت خارجاً في الساعات الماضية.»

قال وولف بجفاء: «لتجلبي بعض الثياب وحقيبتي الصغيرة، نعم. ولكن، هذه... لم اطلبها.» واعطاها تلميحاً قاطعاً من رأسه باتجاه الكانفا التي وضعتها أمام المرآة. لقد كان يوماً طويلاً وكانت تعبة ولم تكن في حاجة إليه ليقول ذلك: «اعتقد أنني منتبهة إلى ذلك.» قالت بتثاقل.

كانت بحاجة ماسة إلى عشائها الآن. والتفاحة التي أخذتها معها لم تكن كافية: «هل تريد...؟»

قال ببرودة: «اريد جواباً عن سؤالي.» قالت له سين بحدة: «وأنا أريد عشائي.»

«لقد كنت اجوب المدينة من اجلك لسبب أو لآخر هذا المساء. والآن اريد أن آكل» ولمعت عيناها وتابعت: «فقط لأنك استيقظت كدب برأس مجروح لا تستطيع أن تستخدمني كأنني كيس الملاكمة الخاص بك. أنا تعبة، جائعة ولست في مزاج جيد!» الجملة الأخيرة خرجت بعاطفية، فاليوم لم يكن سهلاً عليها أيضاً. تحرّك وولف إلى الأمام في مقعده، متحاشياً بانتباه أن لا يحمّل كاحله المضمد أي وزن: «قلت انه يمكنك الذهاب إلى شقتي وإحضار بعض الملابس لي، ولم أقل أنك تستطيعين أن تتجولي في الغرف التي لا يحق لك الدخول إليها!» قال بقسوة وعيناه تلمعان بلون ذهبي عميق وفمه مشدود: «لا أحد يدخل إلى محترفي، لا أحد!»

نظرت سين عبر الغرفة إليه ويداها على خصرها بعدائية. لقد كانت تعني ذلك عندما قالت انها تعبة وجائعة. في الحقيقة كان هذا اكثر ما تستطيع تحمّله ولكن ماذا قصد عندما قال انها تستطيع الذهاب إلى شقته وجلب بعض الأغراض له؟ لقد أمرها أن تفعل هذا! تحدّته بقسوة: «ولا حتى أنت كما هو ظاهر ولن...» فهدأ وولف. عصب واحد اخذ ينبض في وجهه ليظهر أنه ليس من حجر. «ولا حتى أنا؟» صاح برقة وبحذر: «اذاً، كل ما جلبته معك من هناك سوف تعيدينه.» تنهدت بخوف: «وولف...!»

«أنا أقصد ذلك يا سين» قال ذلك بحدة وكل جسمه ينتفض من غضبه المكبوت، لأنه لا يستطيع الحراك ولا هو في موقف يسمح له بفعل أي شيء. «لا أريد هذه الأشياء هنا، لا أريدها في أي مكان قريب مني!»

رأت سين أنه يعني ذلك، عرفت من خلال تعبير وجهه العنيد، انه يريد الكانفا والصندوق الذي يحتوي على ادوات الرسم بعيداً عنه، وأنه سيكون سعيداً لعدم رؤيتها من جديد. وكأنه يكره كل الأشياء التي منحته ذات مرة الهدف من حياته.

الفصل السابع

قالت له سين مقطّبة: «ألا تعتقد أنك تتصرّف بصبيانية الآن؟»

«لا آبه لتصرفاتي!» وحاول وولف الوقوف على قدميه، معتمداً على العكازين «لا يحق لك جلب هذه الأغراض إلى هنا.»

قالت بقسوة: «آه، كلا، أملك الحق في الركض خلفك مثل خادمة مطيعة!»

أخذ نفساً عميقاً وقال بغضب: «ليس عليك فعل ذلك أيضاً. لقد غيّرت رأيي بشأن البقاء هنا يا سين. اعتقد اني افضّل العودة إلى شقتي.» حدّقت فيه سين بازدراء. لقد كان هو من جعلها تشعر بالذنب بسبب حادثته وليس أمامها أي خيار غير أن تبقيه عندها، إلى أن يشعر بتحسن. وكان هو من أصرّ على جلب أغراضه التي يحتاجها من شقته. رحلة إلى المدينة قضت فيها حوالي الساعتين وفوّتت عليها العشاء، والآن يقول انه غير رأيه ويريد المغادرة. حسناً، يستطيع أن يفكر كما يشاء!

نظرت إليه وقالت: «أنا لا آبه لما تفكر به يا وولف. أنت من أراد البقاء هنا والآن عليك أن تفعل هذا.»

نظر إليها وقد انبغت من عدائيتها ولم تستطع سين منع نفسها من التساؤل: كم مضى من الوقت منذ أن وقف بوجهه أي إنسان بهذه الطريقة؟ وكرئيس لصناعات آل ثورنتون،

فهو دون شك لا يواجه الكثير من المعارضة. حسناً، إنه في مملكتها الآن، وليس في صناعات آل ثورنتون ولا في بيت عائلته. وإذا اعتقد أنها سوف تلبّي كل طلباته عند أقل إشارة منه فهو مخطىء، إلى جانب ذلك، فسبب بقائه هنا لا يزال قائماً. فهو لا يستطيع الرجوع إلى شقته معتمداً على نفسه إلى أن يصبح متكّيفاً أكثر مع عكازيه، وكما قال ان ذهابه إلى بيت والدته كان من غير الممكن أيضاً.. أخيراً استرخى قليلاً، ولوى فمه بسخرية مستهترة وقال: «لا تستطيعين حملي على البقاء هنا، يا سين.»

قوّست حاجبيها وقالت: «كلا. وكيف تقترح الرحيل؟ هل تنوي الاتصال بسيارة أجرة لتنقلك؟ آسفة، يا وولف. كما يجب أن تعلم ان الهاتف عاطل عن العمل. هل تنوي أن تعرج بعيداً على عكازيك؟» واضح أنه نسي أن الهاتف معطل. «اعذرني لقولي هذا يا وولف.»

قرّب عينيه وقال برقة: «دعيني أقول بصراحة، يا سين، هل تعنين اني اسير هنا؟»

رفعت حاجبيها وردّت عليه: «تقريباً! ما أقوله لك هو إذا استطعت ان تحضر احداً ما لينقلك من هنا، حسناً، أفعل ذلك، ولكنني لن أقلّك إلى أي مكان!» ولتأكيد وجهة نظرها ذهبت إلى المطبخ لتبدأ بتحضير العشاء. لم تعتقد أن وولف سيذهب إلى أي مكان، ليس الليلة على الأقل!

أحسّت بوجوده على باب المطبخ بعد دقائق. لقد كان حقاً يعاني من المتاعب مع عكازيه. فكرت بسرور. استفهمت منه بخفة: «سباغيتي مع الفطر، هل تحبها؟» وبدأت بتقطيع البصل والفطر. قال لها: «أتعرفين، ذات مرة كنت أتخيّل

وجودنا بمفردنا في كوخ هادىء في مكان ما. بدون هاتف أو عائلة تزعجنا.» هز رأسه مزدرياً نفسه: «كم كنت غبياً!»

قطبت سين وجهها قائلة: «وولف.»

قال لها بجفاء: «لا أريد عشاء، شكراً لك، سوف أذهب إلى الفراش.» وضعت السكين التي كانت تستعملها لتقطيع البصل من يدها، واستدارت لتواجهه، واوضحت له بتعقل: «ولكنك استيقظت من النوم منذ قليل، لا بد أن تكون جائعاً.» اولاها نظرة قاسية واستدار بعيداً وتمتم: «ليس للطعام.»

تحركت سين إلى الباب وقالت: «ماذا قلت؟» ولحقت به إلى قاعدة الدرج الضيق وهي عابسة.

قال بتجهم: «قلت انني كنت غبياً، أنت على حق يا سين. الماضي هو الماضي وعليه أن يبقى هناك!»

لم تكن تدري عمّا كان يتكلم، عن الرسم أو عن شيء آخر. ولكنها كانت تعرف أن الوقت ليس ملائماً لتسأله. فقساوة ملامحه كانت كافية لتنذرها بألا تفعل ذلك كما كان كافياً ليرفض مساعدتها له بصعود السلم أيضاً. لقد كان هناك حوالي الدزينة من الدرجات وكان الدرج ضيقاً ومن المستحيل عليه استعمال العكازين معاً لمساعدته على الصعود. حقيقة أدركها فوراً عندما رمى بأحد العكازين إلى أرض غرفة الجلوس بنفاد صبر. وانحنى بثقله على الدرابزين ليستطيع صعود الدرجات. والدرابزين كان مثبتاً ببضعة مسامير فقط، ولكن فكرت سين أنه ربما من الخطر عليها أن تلمح له بذلك إذ أنه سيرمي بعكازه الثاني عليها. لذا لزمت الصمت بحكمة، فرجعت إلى المطبخ لتحضر عشاءها، ولكنها كانت تستطيع سماعه، وعرفت كم من

الصعب عليه أن يصعد الدرج. تمنت أن تذهب وتساعده، ولكنها مقتنعة بأن مساعدتها سوف ترفض، وقد عانت من الرفض ما يكفيها مدى حياتها! تنفست متنهدة بارتياح عندما سمعته اخيراً يصل إلى أعلى الدرج واستغربت لأنها لم تدرك أنها تمسك أنفاسها حتى تلك اللحظة. كان هذا صعباً ومعقداً جداً. لماذا كان متضايقاً من الكانفا والأصباغ؟ لم تكن مهمة إلى درجة أنه يغضب إلى هذه الدرجة؟ طبعاً كانت فضولية، تعترف بذلك، لمعرفة لماذا لم يعد يرسم، ولكن ردة فعله لرؤية هذه الأغراض كانت غير متوقعة. كان هناك الكثير من الألغاز لدى وولف لم تكن قادرة على فهمها، وأشياء كثيرة تمنت لو تسأله عنها. ولكنها لم تكن لتفعل ذلك. تمتمت سين: «اللعنة!» عندما رأت أنها تحرق البصل والفطر ـ فرفعت المقلاة عن النار لتبرد قليلاً.

لم تكن تسمح لنفسها بالإقتراب منه، لقد فعلت ذلك كفاية في الماضي. كان عليها أن تتركه يذهب عندما يشاء ذلك، كان عليها أن تشعره بالإمتنان لأخذه إلى اي مكان أراد الذهاب إليه، بدلاً من أن تحكم على نفسها بالبقاء برفقته لوقت أطول. والأمر المهم هو كيف تمنع نفسها من الغضب ازاء تصرفه؟

لقد كانت تفعل ذلك ثانية، سامحة لنفسها بأن تعلق بأفكار عنه بدلاً من الاهتمام بحياتها! العشاء، سوف تأكل حتى لو أن وولف لن يفعل فهي تستحق عشاءها بعد النهار الذي قضته!

تمنت لو تستطيع القول انها استمتعت بالسباغيتي ولكن

حقيقة الأمر، فقد ذهبت شهيتها للطعام عندما فكرت ان وولف ممدد على السرير في كوخها، وأمتعته لا تزال على أرض غرفة الجلوس، مع عكازه المرمي. وأخذت حقيبته واغراضه الأخرى إلى فوق عندما أنهت عشاءها، ربما إذا لم تر هذه الأغراض قد تتمكن من نسيان وجوده في الكوخ! أو الاحساس به، ولكنه يستأهل المحاولة.

اتسعت عيناها بعدم رضى عندما فتحت باب غرفة الضيوف بهدوء ورأت وولف غارقاً في سبات عميق على فراش عار من الأغطية. لقد نست تماماً أن السرير الإضافي غير جاهز وواضح أن وولف لم يكن في مزاج ليطلب منها شيئاً، أو ربما فكر أنها بمزاجها السيىء سوف ترفض أن تجهزه له. لم تكن طبعاً لترفض، أو ربما لم يكن يريد أن يراها ثانية هذه الليلة. آه، هذا سخف، رأت وهي تنظر إليه بينما هو نائم، انهما يتصرفان بصبيانية وليس كشخصين ناضجين!

جلست بخفة على الكرسي المواجه للسرير الصغير وقد وضعت الحقيبة والكانفا اللتين كانت تحملهما. هل كان كل شيء خطأ بالنسبة لهما؟ ولماذا كان كل ذلك خطأ؟ والجواب المتاح عن هذين السؤالين يتلخص بكلمة واحدة: «باربرا.»

عرفت سين أن كلوديا ثورنتون لم توافق على اختيار وولف لها. ولكن بدا أنها رضخت لأنه لم يكن لديها خيار آخر، خاصة وأن وولف قد عقد عزمه. إذاً قبلت بالأمر الواقع باعتزاز جيد مع أنها لم تكن تشعر بالسعادة حيال ذلك. والذي لم تعرفه سين أنه في الوقت الذي كانت كلوديا تقبل باختيار وولف لأي عروس يختارها طالما أن الفضيحة

بعيدة عن العائلة، وكان من الممكن أن تتلضخ سمعة العائلة وتتعرض للشائعات لو أن باربرا ثورنتون طلقت أخاً لتذهب إلى شقيقه الآخر! وما زالت سين تشعر بالإذلال من إدراكها أنها كانت دائماً الاختيار الثاني لوولف، ستارة من دخان للعلاقة التي كان يقيمها مع زوجة شقيقه، ولكن لم يكن هناك من حاجة للتأكيد عندما توفي أليكس ثورنتون بحادث تحطم الطائرة.

اتصل بها وولف بسرعة عبر الهاتف خلال دوام عملها في الفندق لينقل إليها الخبر، وبدا واضحاً أنه يعاني من صدمة، ولكنه كان يعرف أن عليه تحمل مسؤولية تسوية كل التفاصيل الضرورية بعد مأساة كهذه. ذهلت سين من الخبر مع أنها لم تكن تعرف أليكس جيداً. وهو لم يكن يحبها أكثر مما تحبها والدته، ولكنه دائماً كان بالغ التهذيب معها في المرات القليلة التي التقيا بها. طبعاً لم يبدُ هذا منصفاً بحق رجل ذي ذهن متيقظ وحيوية لا متناهية، أن يقتل بهذه الطريقة، لأنه شقيق وولف. كانت سين متورطة في هذه المأساة، ليس لأن الشقيقين كانا متقاربين، فلقد كانت طباعهما مختلفة. وولف كان مسترخياً وساحراً وأليكس رجل أعمال صعب المراس. ولكن هذا لا يغير حقيقة أن اليكس هو شقيق وولف وعلاقة القربى موجودة بينهما ولو أنها كانت عن بعد.

عرضت سين: «سوف أترك عملي وآتي» بمجرد أن اخبرها وولف. ولكنه رفض على الفور: «لا داعي لذلك، سوف اعتني بأمي وباربرا لفترة ما في البيت.»

قدرت له سين ذلك، ولكن بالتأكيد كونها خطيبته فمن

الواجب أن تكون إلى جانبه خلال هذه المحنة! وبما أن لا عائلة لها: قدرت كم أن امرأتي ثورنتون منهارتان من جراء خسارتهما، ولكن بالتأكيد كان هناك ما تستطيع القيام به للمساعدة. سألته متعاطفة «كيف هو حال أمك وباربرا!»

قاطعها وولف فوراً: «وكيف تعتقدين أنهما؟» وتنهد بعمق: «إنهما في حال مروعة. أمي منهارة وباربرا تعاني من حالة هستيرية.» «عليّ أن أكون هناك يا وولف.» صاح بقسوة: «كلا.» جفلت من غضبه الواضح تجاه الاقتراح «ولكنني متأكدة أنني استطيع...» صاح وولف بحزم: «قلت لا مجال لذلك، يا سين. اسمعي، علي الذهاب.» قال ذلك بحدة واضاف: «سوف اكلمك لاحقاً.» واقفل الخط بجفاء.

انتبهت سين إلى فضولية موظفة الإستقبال الأخرى، تنظر إليها وتمسك بسماعة الهاتف لفترة طويلة بعد أن أقفل الخط. ووضعت السماعة ببطء عندما لاحظت النظرات الفضولية وأفكارها لا تزال منصبة على وولف. كان منزعجاً طبعاً ولم يلاحظ انها منزعجة من محاولة إخراسها بهذه الطريقة. وآخر شيء يحتاجه هو أن تنفعل تجاه محاولته اهمالها، كان لديه الآن مشاعر أمه وباربرا ليهدئها وهذا كان كافياً! ولكن لم يكن من السهل عليها إنهاء فترة عملها المسائية، وحاولت أن تبدو وكأن كل شيء طبيعي، وطاقم الفندق سيعلم بوفاة أليكس ما أن ينشر الخبر، كانت سين أكيدة ولكن في الوقت الحالي لم تعتقد أن وولف يريدها أن تتكلم عن الأمر. فكل الذين تعمل معهم كانوا يعرفون بأمر خطوبتها لوولف ثورنتون، وكانوا لطيفين معها. عدا عن بعض التلميحات اللاذعة إلى أنها

سوف تتزوج الرئيس... والفضولية بشأن استمرارها في العمل اذا كان الأمر كذلك. والموضوع من السهل الاجابة عليه من جهة سين، إذ أنها ترعرعت في دور الأيتام والملاجىء، حيث كان المال قليلاً دائماً. ولم يكن من طبيعتها أن لا تعمل لتعيل نفسها، والحقيقة ان وولف احترمها لذلك مع أنه حذرها من أن شعوره لن يكون هو نفسه بعد زواجهما. كان ذلك امراً سيناقشانه في حينه، هكذا قالت له سين.

مع ذلك كانت أكثر من مرتاحة عندما انتهت نوبتها في العمل. واشترت بعض الحاجيات من محل قريب من منزل وولف في طريقها إلى هناك. اذا كانت الأمور مأساوية له هذه الليلة كما تخيلتها، فإن الطعام هو آخر ما سيفكر به، ولكنها ستشعره بالتحسن. دخلت إلى الشقة بمفتاحها، وهي تعلم أن وولف ليس في المنزل. عندما دخلت إلى المنزل الساكن أدركت بخيبة أمل، إذا كانت أمه منهارة، فمن المحتمل أنه لا يزال في منزلها. ولكن سوف يعود إلى البيت في وقت ما هذه الليلة وعندما يحضر تكون قد حضرت له وجبة طعام، وشكت إذا كانت أي من المرأتين شعرت معه في خضم حزنهما.

كانت تبقى في منزل وولف أكثر من منزلها. وتبقي الكثير من ثيابها هناك، وكانت ذاهبة إلى غرفة النوم لتغير زي عملها، ولكن قبل أن تفتح باب الغرفة انفتح من الجهة الأخرى. وظنت ان وولف موجود في الشقة. أدركت هذا بسرور. أنه هنا بعد كل شيء.

سأل صوت باربرا ثورنتون: «عزيزي، هل هذا أنت؟»

وعندما فتح الباب أكثر تمكنت سين من رؤية المرأة كما تسمعها، وحينما نظرت إلى قميص النوم الأخضر الباهت الذي كانت ترتديه باربرا تراجعت خطوة إلى الوراء وقد اكفهر وجهها. ماذا تفعل باربرا هنا، في غرفة نوم وولف؟ ولماذا هي مرتدية مثل هذه الملابس؟

قربت باربرا عينيها الخضراوين عندما نظرت إلى سين وقالت لها ببرودة: «ظننت أنك وولف.»

عزيزي هو وولف؟ ما هذا؟

تشدقت باربرا بازدراء: «لا تنظري بذهول، يا لوسيندا.»

مشت من غرفة النوم إلى غرفة الجلوس، وثياب نومها الحريرية يهفهف على ثنايا جسدها. وقالت لسين بصوت غير مهتم: «إنني انادي وولف «عزيزي» منذ وقت أطول من ان أذكره.» لم يكن ذلك امام سين، ولا أي واحد من أفراد العائلة، كما تعرف سين، وراقبت المرأة الأخرى تتجول في الغرفة وتفتح صندوق السجائر الذهبي الذي كان على طاولة القهوة، صندوق سجائر لم تكن سين لتفهم ابداً سبب وجوده دائماً مليئاً، وولف لا يدخن. هل من الممكن أنها من أجل باربرا؟ وإذا كان كذلك، فلماذا؟ لم تزل سين جامدة، وغير قادرة، والمرأة الأخرى تأخذ سيجارة وتلتفت إلى ناحية سين بحاجبين مرتفعين بسخرية. أهذه هي المرأة التي تعاني من حالة هستيرية؟ وبدت باربرا مسيطرة تماماً على أعصابها وعلى الموقف! راقبتها سين من خلال سحابة من الدخان. وكانت الأفكار تتدافع في رأس سين ولم ترد أن تعلم أو تصدق الأفكار غير المعقولة التي لا يمكن أن تكون صحيحة. ربما...

قالت سين بجفاء: «أنا آسفة بشأن أليكس» وكانت لا تزال تنظر إلى المرأة مأخوذة وغير مصدقة لما تفكر به، لا يمكن أن يكون حقيقياً، لا يمكن! ارتجفت باربرا من ذكر زوجها وتجمدت عيناها الخضراوان. وقالت بقسوة: «وأنا كذلك، الموت شيء نهائي، لم تكن هذه الطريقة التي أردت أن تنتهي إليها الأمور.»

عبست سين مجدداً، ماذا تقصد هذه المرأة بذلك؟ وسألتها: «وأين وولف؟» ذهب بعض الارتباك الآن وأخذت نفساً آخر من سيجارتها: «مع والدته وسوف ينضم إليّ هنا عندما يستطيع التخلص.»

أجابت سين بقسوة: «أنت تنتظرين عودته الليلة، إذاً؟» لقد كانت في حاجة ماسة إلى مكالمته ليخبرها بأن ما تتخيله ليس صحيحاً، فهو وحده يستطيع تفسير هذا. ورقّ صوت باربرا: «آه، أجل، لقد وعدني بأنه لن يتركني بمفردي لفترة طويلة، وهو يعلم كم أنا بحاجة إليه الليلة؟» المرأة كانت في انتظاره في غرفة نومه... وولف! صرخت سين بداخلها، أنا بحاجة إليك، أنا بحاجة لتخبرني أن كل هذا هو خطأ فظيع، وأن باربرا لا تقصد ما أتصور أنها تعنيه!

لكن هذه الأفكار بقيت تتراكم في رأسها. فقساوة وولف معها على الهاتف قبلاً، وإخبارها بأن لا تذهب إلى منزل والدته، وأنه لا داعي لوجودها هناك. بالطبع كان لوجودها داع، لو أنها استطاعت أن تكون هناك من أجله؟ إلا إذا.. كان لا يحتاجها. ليس لأن باربرا أصبحت حرة... هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً، لا يمكن. وولف أحبها، وطلب منها الزواج. ولكن مع ذلك، هذه الأفكار تتأجج في داخلها الآن، وترفض

أن تتركها. وكانت باربرا لا تزال تنظر إليها وهي جالسة على كنبة وتضع رجلاً فوق رجل: «سوف أخبره انك اتصلت.» تشدقت بازدراء من تعبير وجه سين المرتبك.

قالت سين: «سوف أنتظره.»

نظرت إليها المرأة بإشفاق وقالت: «هل تظنين أن هذا صواب؟» بلعت سين ريقها بصعوبة: «صواب؟» قالتها باهتزاز وردة فعلها بدأت تظهر بوضوح.

تنهدت بنفاد صبر: «آه، اعقلي، لوسيندا، هيا؟» نصحتها باربرا بنفور وهي تطفىء السيجارة بعصبية: «لا يمكن أن تكوني بمثل هذه السذاجة. بالتأكيد أصبح واضحاً لك الآن أنني على علاقة معه منذ عدة سنوات...»

«كلا!» وضعت سين يديها على أذنيها، والمرأة الأخرى تقول أشياء تحاول جاهدة أن لا تفكر بها. «وولف يحبني، أنه... أننا مخطوبان!» رفعت يدها اليسرى بانتصار، ولمع خاتمها عندما فعلت ذلك.

قالت باربرا بقسوة: «همم، هذه ضربة ذكاء من وولف. أصبح أليكس مشككا بأمرنا، كما ترين. ولكن بضربة حظ قابلك وولف ليلة ذكرى ميلاد والدته. طبعاً، في الحقيقة بدأ الأمر مع وولف بأنه أراد ان يرسمك. ولكن خلال تلك الليلة أدركنا كلانا أن مزاج أليكس السيىء كان بسبب شكوكه عنا نحن الاثنين وليس بسبب تأخر وولف عن الحفلة. وهكذا قرر وولف أن يقوم ببعض التمويه.»

تمتمت سين بعدم رضى: «وولف فعل هذا؟»

أخبرتها باربرا بهدوء: «آه، كان يرافقك على أية حال، يا لوسيندا. كان دائماً يرافق عارضاته. ولكنني كنت اعلم أن

هذا لا يعني شيئاً. وإنني كنت الوحيدة في حياته، اسأليه أن يريك الرسم الذي رسمه لي في وقت ما.» أضافت ببحة: «أنا أكيدة أنك ستجدينها مشعة جداً.»

نبرة صوتها فقط أوحت لسين تماماً أي نوع من الرسوم سوف يكون! لم يكن يجدي أن تقول للمرأة الأخرى انها لا تصدقها، لأنها كذلك، فكل هذا منطقي حتى الآن. الطريقة التي رسم بها وولف في المرة الأولى، والطريقة التي تأخر بها عن موعدهما وإعلان نيته بالزواج منها منذ لقائهما الأول. كان كل هذا تغطية لعلاقته بزوجة أخيه، والآن باربرا هي حرة...

استقامت سين وقالت: «من الأفضل أن أذهب. وكانت تشعر أنها بحاجة إلى الهرب الآن، قبل أن تنهار. ونزعت خاتم خطوبتها: «ربما تستطيعين إعطاء وولف هذا.» وأعطت الخاتم للمرأة الأخرى. «أنا لست بحاجة إليه بعد الآن..» لم تقم باربرا بأي حركة لأخذ الخاتم منها وعنفتها برقة: «لا تكوني جبانة هكذا يا لوسيندا. فعلى الأقل أنت مدينة بمجاملة وولف بإعادتك الخاتم إليه شخصياً.» أرادت ان ترميه في وجهه، وأن تخبره كيف تفكر فيه وكيف استغلها، ولكنها عرفت أنها اذا فعلت ذلك فسوف تتحطم كلياً، وهذان الاثنان قد آذياها وأذلاها بما فيه الكفاية، لقد أحبت وولف كثيراً وهو كان يستغلها فقط. وضعت الخاتم على الطاولة. «أنا... أخبريه أنني غيرت رأيي وأني أدركت أني لا أريد الزواج منه.» قامت بسرعة وهي تعلم أن ما تريده حقاً هو الإستجداء والتوسل لوولف. ولتخبره أنه على خطأ، وأنها تستطيع إسعاده، مع علمها أن لا مستقبل

لهما الآن. وأن كل شيء قد انتهى. كل الحلم المستحيل. وادعت مدافعة «أخبريه انني ادركت بأن روجر هو من أحب!.»

ركضت بسرعة نحو الباب قبل أن تنهمر دموعها وتذل بسببها. قالت باربرا وهي مقطبة الجبين: «روجر؟ لن أدعي، حتى أني أعرف من هو. ولكنني استطيع أن أؤكد لك، على أساس عملي من هو وولف، فهو ليس ذلك النوع من الرجال الذي يريد استرداد خاتمه الآن وعلاقتكما قد انتهت وصدقيني.» أضافت بصعوبة: «لقد انتهت.»

ردت سين لباربرا إهانتها وقد احمر خداها غيظاً: «الظاهر أن وولف هو ذلك النوع من الرجال الذي يكون على علاقة مع زوجة أخيه في الوقت الذي يستعمل فيه امرأة أخرى ستاراً لتلك العلاقة!»

استهجنت باربرا: «لديك اعذارك للاعتراف.»

قالت سين بتوتر: «ليس بعد كل ما حدث. جدي شخصاً آخر لتغطية علاقتك الصغيرة الدنيئة... إلى أن لا تعودي بحاجة إلى ذلك، أنا لا أنوي أن أفعل ذلك بعد الآن!»

خرجت في الليل وهي بحاجة يائسة إلى الهرب، ذهبت إلى الشخص الذي كانت تعلم أنه لن يسألها أية أسئلة، روجر.

التقت بروجر في آخر ميتم عاشت فيه، عندما كانت في السادسة عشرة، كان الابن الأكبر في المنزل، ومعظم الوقت يقضيه في الجامعة ولكنه أصبح من أفضل اصدقائها خلال الأوقات التي يقضيها في المنزل، حتى في العطلات. وحينما غادرت منزل آل كولينز وانتقلت إلى العيش

بمفردها بقي الاثنان صديقين. وكانا يتقابلان بالصدفة بعد ذلك. وقد اعترض روجر على علاقتها بوولف، ولكنه كان سعيداً من أجلها عندما خطبها وولف، مع أن سين لم تعتقد أنه فوجيء تماماً من الطريقة التي انتهى إليها الأمر. فلم يكن روجر أكيداً مئة بالمئة من علاقتها بوولف، ما عدا الخطوبة. كم كان محقاً بأن يشعر بالقلق!

نظر إليها روجر نظرة واحدة. وهي تقف بإعياء على بابه قبل أن يقودها إلى الداخل، وأعطاها شراباً قوياً قبل أن يضعها تحت الأغطية في غرفة النوم الإضافية. كل هذا من دون أن يسألها سؤالاً واحداً. وعرفت سين لماذا كانت شاحبة، عندما لمحت نفسها في مرآة الحمام، وبنظرة تائهة في عينيها تظهر كل ما تعانيه في داخلها وخيبة أملها. كل هذا يخبر عن نفسه.

توسل اليها روجر أن تبقى في شقته في اليوم التالي، ولكن سين رفضت عرضه وهي تعلم أن عليها مواجهة الواقع، وقررت أن تذهب إلى عملها في الفندق كالمعتاد، لم تحاول الفرار في حياتها من مواجهة أي موقف، لقد كان عليها أن تكون قوية مع كل عذاب الطفولة الذي عرفته، ولم تكن على استعداد لترك عملها في الفندق قبل أن تجد عملاً آخر. وإذا كان وجودها هناك يحرج عائلة ثورنتون فهذا جيد وحسن، انه ليس شيئاً يذكر في مقابل العذاب الذي عانته خلال ليلة السهاد الطويلة التي مرت، وكل الليالي التي ستأتي. لم تكن قد امضت أكثر من عشر دقائق في عملها عندما رأت وولف يدخل الفندق. وشحب وجهها عندما مشى بخطوات سريعة قوية إلى حيث وقفت لتقوم بواجبها خلف

مكتب الاستقبال. ليس هنا، تمنت في قرارة نفسها، آه... ليس هنا. وشعرت بالألم، فهو بدا مخيفاً، وبدا أن ليلته كانت طويلة، مع الخطوط التي ظهرت بجانب فمه وعينيه وهذه الخطوط لم تكن موجودة في آخر مرة رأته.

هل كان هذا في خلال اربع وعشرين ساعة مضت؟ فموت أليكس ترك تأثيره عليه، حتى لو كان مجرد شعور بالذنب من العلاقة مع زوجة أخيه بينما كان على قيد الحياة.

استقامت سين مدافعة عندما وصل إلى المكتب، متجاهلة النظرات الفضولية من موظفات الاستقبال عندما التقت بنظرات وولف من دون أن ترمش. إذا اراد أن يكون هذا مشهداً جماهيرياً، فليكن!

«أين قضيت الليلة؟» طالبها بالإجابة بدون أن يحييها. وعيناه كقطعتين ذهبيتين. أين كانت طيلة الليل؟ لماذا؟ هي من كان يجب أن تسأله باتهام. وهو مع من كان؟ قالت له: «ذهبت إلى الشقة يا وولف. هل اخبرتك باربرا؟»

«نعم، أخبرتني، وعندما أعطتني هذا ـ وأمسك بخاتم خطبتهما في راحة يده والماسات تلمع: «اتصلت بشقتك لأعرف ماذا يجري ولكن احداً لم يرد ولا حتى هذا الصباح لهذا السبب، أين كنت، يا سين؟» سألها من جديد.

تحركت سين من وراء المكتب وقالت: «دعنا نذهب إلى مكان آخر يكون أكثر هدوءاً لنناقش الأمر.» اقترحت بقوة ولم تنتظر رده ولكن اقتادته إلى غرفة اجتماعات صغيرة عبر قاعة الاستقبال، والتي كانت تعلم أنها غير محجوزة اليوم. كانت تحس بوجوده وراءها وهي تمشي تلك المسافة، لذا فهي لم تكن بحاجة لتستدير وتراه لتعرف أنه

يلحق بها. استدارت ناحيته عندما اغلقت الباب بهدوء وراءها. وفوراً قطعت الأصوات من الفندق وعمّ الصمت المطبق.

«حسناً؟» استفزها وولف بنفاد صبر ويداه في جيبي سرواله. نظرت سين إلى مظهره بإمعان. ولاحظت البدلة الداكنة غير المعتادة والقميص الأبيض وربطة العنق. واضح أن هناك أشخاصاً سيقابلهم اليوم بشأن دفن أخيه. هذا وقت أليم لكلينا. منحت وولف تنهيدة متثاقلة: «دعنا نقبل ما قمنا به كغلطة. ودع الأمر كذلك.»

نظر إليها وقال: «وإذا لم أرد ذلك؟»

هزت سين رأسها بأسى: «لا أعتقد أن لديك أي خيار يا وولف... لقد انتهى كل شيء بيننا الآن، حتى لو كانت الأمور مختلفة.» مع أنها كانت لا تستطيع تصور أنه وباربرا سيتخليان عن علاقتهما الآن: «لا استطيع أن انسى ابداً ما فعلته لأليكس.»

شحب وجه وولف، وبدا أنه ترنح قليلاً قبل أن يستعيد السيطرة على نفسه من جديد وتنفس بعمق: «هل تعتقدين أنني لا أشعر بالذنب كفاية حيال ذلك الأمر يا سين؟ أنا في حاجة إليك معي الآن وليس لأن تنقلبي ضدي.» أخبرها بحنق والألم يعصر وجهه. ما عناه هو أنه ما يزال في حاجة إليها لتكون درعاً لعلاقته بباربرا وستكون فضيحة أكبر لو انتشر الخبر بسرعة بعد وفاة أليكس. هزت رأسها من جديد: «لن أعيش تلك الأكذوبة مجدداً يا وولف... أنا آسفة بشأن موت أليكس، حقاً أنا كذلك.» قالت بأسف عميق: «ولكن في الوقت نفسه لقد جعلني ذلك أدرك مدى الخطأ

الذي ارتكبته حتى في التفكير بأننا يمكن أن نتزوج. «روجر...» استدرك وولف غير مصدق: «هل كنت معه ليلة أمس؟» «نعم، لقد قضيت الليلة في شقة روجر.» أكدت له بثبات ليدع لها وولف كرامتها، على الأقل، توسلت بقلبها ألا يستطيع أن يرى ماذا يفعل بها: «لقد ظننت أن باربرا كانت...» توقف فجأة وعبس: «لقد انتهى الأمر إذاً؟» قال بتثاقل.

بلعت سين ريقها بصعوبة: «نعم لقد انتهى.» قالتها بصوت أجش، متمنية أن لا تبكي، ليس قبل أن يذهب وولف بعيداً، وبعدها تعرف أنها لا تستطيع أن توقف فيضان الدموع الذي يهدد بالانهمار: «لم يكن يجدر بنا أن نبدأ بها، أليس كذلك؟» وأجابها: «لقد أردتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.» فكرت سين، كما أراد كل النساء اللواتي رسمهن. وعلاقتهما ذهبت خطوة واحدة أبعد... إلى حدود الخطوبة لأنه وباربرا خافا أن يكتشف أليكس امرهما.

«هذا ليس كافياً يا وولف.» قالت سين بحدة: «ليس بالنسبة إلي، كان يجب أن يكون هناك اكثر من ذلك من أجل العلاقة، تبادل ثقة.» كانت تثق به تماماً حتى مساء امس: «روجر وأنا... هو يعرفني، ويفهمني، وليس عنده ارتباطات أخرى تأخذه بعيداً عني. هذا ما أريده من رجل حياتي.» نظرت إلى وولف من دون أن ترمش عيناها، وهي تتمنى أن يذهب.

استمر ينظر إليها لدقائق طويلة ثم اطلق نفساً عميقاً عندما رأى أنها تعني ما تقوله: «أتمنى أن تكوني سعيدة، يا سين.» وأومأت له برأسها: «وأنا أيضاً اتمنى لك ذلك.» لوى

فمه بمرارة: «لا أرى هناك فرصة كبيرة لذلك.» ومشى نحو الباب ولكنه لم يرحل. تردد هناك قبل أن يستدير ويقول: «إذا غيرت رأيك...»

«لن أفعل.» أكدت له بسرعة. ربما تريد ذلك ولكنها تعرف أنها لن تفعل فهي، تريد أن تكون الوحيدة في حياة الرجل الذي سوف تتزوجه، إذا تزوجت، والآن ربما هي تشك بأنها ستفعل.

أومأ وولف قائلاً: «اعتقدت انك ستقولين ذلك ولكن صدقيني يا سين لا أهمية لمدى ما سوف تعتقدين أنك تكرهين. فأنت لا تستطيعين أن تكوني مزدرية لي بقدر ما أزدري نفسي.» قال لها ذلك قبل أن يرحل بهدوء.

نظرت سين إليه بعد استعادة الماضي، وكان ينام بسلام، ولم تستطع أن تمنع نفسها من التعجب مرة أخرى عما جرى له خلال السبع سنوات الماضية. فهو وباربرا لم يتزوجا. مع أن المرأة الأخرى تبدو مهمة كثيراً في حياته. وروجر ما زال جزءاً مهماً في حياتها. ولكن علاقتها به كانت دائماً كعلاقة أخ بأخته، ولم يكن بينهما أي ارتباط غير هذا. ولن تكون غير ذلك. فهناك شخص مميز جداً في حياة روجر وهما متفقان منذ فترة طويلة. ولم تحزر سين الجزء الذي لعبته ريبيكا في حياة وولف. فيبدو أن الفتاة قررت أنها لا تريد الاستمرار بلعب ذلك الجزء في حياته، والذي عرفته سين بدون شك. ان وولف كان في منزلها من جديد، ولو أنه في الغرفة الإضافية مع أنها أقسمت على أن هذا لن يحدث من جديد!

الفصل الثامن

حثها صوت خفيف بنفاد صبر: «هيا يا سين، افتحي.»

نزلت سين على السلم متعثرة لترد على قرع الباب، وهي تزيح خصلات شعرها إلى الوراء عن وجهها وهي تهرع عبر غرفة الجلوس الصغيرة لتفتح الباب الخارجي، وترمش عيناها من أشعة شمس نيسان - ابريل، الساطعة، وتتركزان على روجر بصعوبة وهو يقف على عتبة الباب.

احتج قائلاً: «لم تكوني في السرير. هل نسيت اننا سنلعب الغولف هذا الصباح؟» لم ينتظر إجابة عن سؤاله الأول، فكونها لا ترتدي ملابس الخروج كان إجابة كافية، ومر أمامها إلى غرفة الجلوس. فكونه قصير القامة لا يواجه أي صعوبة من السقف المنخفض كما فعل وولف. تذكرت سين فجأة النائم فوق، وانتابها شعور بالذنب وكرهت أن تفكر بما سيقوله روجر بخصوص هذا الموضوع إذا علم انها قابلت وولف من جديد وأنه في الواقع ينام فوق! كان روجر يشمئز من سلوك وولف منذ سبع سنوات عندما أخبرته سين ماذا حصل لها تلك الليلة، وكان أكيداً من أنه لن يكون مهذباً إذا ما قابل وولف من جديد. كان في مقدورها فقط أن تتمنى لو أن وولف يبقى نائماً إلى ما بعد ذهاب روجر. وكانت قد نسيت دورتهما المعتادة بلعب الغولف صباح كل أحد، كما نسيت أن اليوم هو الأحد.

«أنا...» بدأت في الكلام حين تشدق صوت بسخرية خفيفة: «إنها غلطتي، كما أخشى.»

دارت سين بحدة لترى وولف واقفاً عند باب المطبخ بكامل ثيابه يشرب كوباً من القهوة، ومن الواضح انه استيقظ منذ بعض الوقت. ماذا عنى بذلك، انها كانت غلطته؟

نظرت إليه بارتياب لأنها لا تستطيع أن تنظر إلى روجر أساساً، بالتأكيد انه عرف الرجل الآخر الآن، فوولف لم يتغير إلى هذا الحد حقاً. بدا وولف مرتاحاً تماماً ومسيطراً وهو ينظر إليها عبر الغرفة وحاجبه مرفوع بتهكم: «أخشى انه بعد... ليلتنا المضطربة.» أضاف وولف بخفة: «كانت سين بحاجة ماسة إلى الراحة، وهكذا تركتها نائمة.»

كادت سين أن تصرخ عالياً من تلميح وولف الواضح. لقد أخبر روجر أنهما قضيا الليلة معاً وكانت سين في حاجة إلى الراحة لأنها كانت مرهقة منه! لم تكن فقط كذبة مزعجة، بل بعيدة عن الواقع، عندما كان غير قادر على فعل شيء بسبب كاحله الملتوي. مع أن... ربما لا، واحمر وجهها عندما استرجعت ذكرى علاقتهما في الماضي. تمنت لو أنها تستطيع السيطرة على احمرار وجهها. كان روجر ينظر إليها بعدم رضا عندما رأى ذلك الاحمرار كحياء محرج من جهتها!

عرض وولف بخبث بريء: «أتريدان فنجان قهوة؟»

قالت سين: «لا اريد شيئاً.» وهي تنظر إليه قبل أن تلتفت ناحية روجر. «لقد التقيت وولف بالصدفة منذ بضعة أيام.»

قاطعها وولف بتعاطف: «أنا أكيد ان روجر غير مهتم بكل التفاصيل حول كيف التقينا من جديد.» ومشى عبر الغرفة

إلى حيث يقفان وبدون العكازين وبعرج لا يكاد يبدو عليه، والرباط مخبأ تحت جوربه الأسود. إن الراحة اليسيرة من ليلة أمس، والنوم الجيد ليلاً، بدا انهما عملا العجائب لقدمه المصابة. إلا إذا كانت غير مؤلمة كما بدت! نظرت إليه سين بتشكك عندما وصل إلى جانبها، بالتأكيد، لم يكن يبالغ بإصابته أمس؟ وإذا كان كذلك، فلماذا؟

أضاف وولف بصوت ابح: «يكفي اننا فعلنا.» ووقف ملتصقاً بسين أكثر مما تمنت ويده تلامس يدها، ليزيد الانطباع الحميمي لروجر، أدركت سين ذلك باحباط.

أخبرت روجر بقليل من اليأس: «لو تمهلني خمس دقائق لأغير ثيابي، يا روجر، سوف أنضم إليك من أجل دورة الغولف.» فحالما تستطيع الكلام مع روجر لوحدهما تستطيع أن تشرح له ماذا حصل بالضبط يوم أمس. فمع ما أثاره وولف من ارباك ومزاج سيىء، كان من الخطأ القيام بذلك الآن، بدا روجر محتاراً أكثر منه متضايقاً الآن. كما وجب عليه أن يكون.

فكرت سين بأسف، وتحركت قاصدة أن تبتعد عن وولف، فقد كانا يبدوان كزوجين تماماً، وهما يقفان جنباً إلى جنب بهذا الشكل.

قال روجر بسطحية: «نستطيع أن نلغي اللعب، إذا كنت تفضلين.» وتجهم وجهه عندما نظر إلى الرجل الآخر.

كان التقاء الرجلين نادراً في ما مضى، ولكن من جديد صدمت سين من الفارق الجسدي بينهما، فوولف أطول من روجر بكثير، ويبدو روجر صبيانياً بشعره الكثيف المنسدل على جبينه ولا يملك أياً من مواصفات القوة

العضلية التي يهتم بها وولف كثيراً، فهو لطالما ملك نضوجاً جسدياً أكثر من الرجل الآخر، ولكن القسوة المتهكمة، كانت جزءاً متمماً لوولف، إضافة إلى الانطباع الذي لم يكن في صالح روجر قط.

اقترحت سين بخفة على روجر: «اجلس وسأحضر لك فنجان قهوة بينما تنتظر.» فإذا جلسا لن تظهر فوارقهما الجسدية!

تحركت بعصبية عندما أمسك بها وولف من يدها وهي تتحرك ناحية المطبخ. نظرت إليه بخوف وأصابعه دافئة وناعمة على خصرها.

قال بصوت ابح: «أريد أن أزيد أيضاً.» وهو يمسك بفنجانه الفارغ يبتسم لها بعينين دافئتين.

كانت سين محتارة تماماً من سلوكه وأخذت الفنجان بحركة مضطربة، متحاشية أن تلمس يدها يده. ومضت بعيداً لتسقط ذراعه عن خصرها. ومنعت نفسها من إطلاق تنهيدة ارتياح لإفلاتها منه. وأحست بشعور الغضب من نفسها على الفور لأنها تأثرت به. ووولف لم يكن بالنسبة لها أكثر من ازعاج غير ضروري، وكلما أسرع بالخروج من حياتها كان ذلك أفضل لها!

وافقها روجر وهو ينظر إلى الساعة: «سوف أشرب القهوة، وأرحل لأنني وعدت أمي بتناول الغداء معها.» عرفت سين أن هذا هو عذر فقط للإنسحاب لأنهما معتادان على لعب الغولف لثلاث أو أربع ساعات ثم يتناولان غداءً متأخراً في النادي، وبعدها من المحتمل أن يذهبا لزيارة شيلا معاً.

فسين بقيت على علاقة طيبة بكل عائلة كولينز، وقد
ضت مع شيلا عدة أسابيع بعد وفاة زوجها منذ خمس
نوات. وهي غالباً ما تذهب للاطمئنان على والدتها لتتأكد
ن أنها بخير.

قالت سين بحدة: «سوف أحضر القهوة وبعدها نتكلم.»
ذهبت إلى المطبخ فحاولت أن تسرع قدر الإمكان إذ انها لا
رف ما قد يدور بين الرجلين في غيابها.

لم يكن يحق لوولف أن يبدو مرتاحاً وسعيداً هذا الصباح.
كرت بسخط وهي تحضر فنجاني القهوة. فبعد أن تركته
ي غرفة النوم الإضافية ليلة أمس، لم تستطع النوم قط.
لكنها استلقت مستيقظة لوقت طويل بعد أن صعدت إلى
سرير منزعجة جداً من وجود وولف في منزلها.

بدا وكأنه نائم كالطفل طيلة الليل. ومزاجه لا يحمل أي
يء من الغضب الذي أظهره الليلة الفائتة، عندما عادت مع
دة الرسم. بدا الأمر وكأنها في بيت واحد مع أشباح!

لقد نسيت كلياً موعد لعب الغولف مع روجر، مع انه لم
ن في استطاعتها إبعاد وولف حتى لو تذكرت، خصوصاً
أن الهاتف معطل. اللعنة! لم يكن الرجلان يتكلمان عندما
ادت بالقهوة. ولم يكن وولف منزعجاً من ذلك. مع أن
وجر بدا متضايقاً أو أقل ارتياحاً برفقة الرجل الآخر.

تعاطفت سين معه فهي تشعر بنفس الطريقة تجاه وولف
آن!

«شكراً.» أخذ وولف فنجان القهوة بابتسامة تضاعفت
نات قلبها تجاهها، وهو يجلس على الكنبة، مرتاحاً
ماماً.

قال بسعادة: «هذا مثل الأوقات القديمة تماماً.» كانت سين على وشك أن تصفعه إذا لم يتوقف عن ألاعيبه. فقد كان يعي ان ثلاثتهم لم يتقاسموا أي اوقات قديمة وانه التقى بروجر ثلاث مرات فقط، وفي كل مرة كانا يبدوان كخصمين ينظران إلى بعضهما في حلبة مصارعة!

روجر كان هو الذي أجابه بجفاء: «أنت تعرف تماماً، يا ثورنتون، انني لست سعيداً بتورطك مع سين هذه المرة كما في المرة الماضية.» تابع بتجهم: «وإذا أنت...»

صاحت سين باحراج: «روجر، أرجوك!» ونظرت إليه معاتبة.

قال وولف برقة: «كلا، دعيه يقول ما عنده.» وكانت نظرته مسلطة على الرجل الآخر.

التوى فم روجر: «أنا أنوي ذلك.» أكد بجفاء: «إذا آذيت سين مرة أخرى سوف اتكفل شخصياً بتعذيبك القدر ذاته من العذاب الذي عانت منه في المرة الماضية.»

كان هناك خطر في هدوء وولف: «حقا؟ وكيف تنوي القيام بذلك.» رد روجر: «أنا...»

قاطعته سين بحدة: «أنت سوف توقف هذا الآن.» وقالت له بالتحديد: «لأن وولف لا يمكن له أن يؤذيني من جديد.» فوولف لن يستطيع أذيتها ما أن يعود إلى شقته ولن تعود مجبرة على رؤيته مرة أخرى. وفي نيتها فعل ذلك في أسرع وقت ممكن، فمن الواضح انه قادر على الإعتناء بنفسه اليوم.

قال وولف بصوت أجش: «سين على حق، أنا لا أنوي ايذاءها.»

أخبره روجر بعينين متقاربتين وبقسوة: «ما تنوي وما تفعل، يبدوان أمرين مختلفين تماماً. لِمَ لا تبقى خارج حياتها، يا ثورنتون؟»

سارعت سين إلى التدخل: «أخبرتك يا روجر ان هذا الحديث لا داعي له إطلاقاً ومحرج تماماً! لقد التقينا بالصدفة، وليس عن سابق قصد من ناحية أي منا!» فليس أي واحد منهما كان من المحتمل أن يعرف الظروف التي سيلتقيان فيها مجدداً!

كان روجر لا يزال عابساً: «لقاء بالصدفة لم يتردد في استغلاله.» ونظر إلى وولف باحتقار.

اتهمه وولف بقسوة: «كما لم تتردد أنت في استغلال الموقف منذ سبع سنوات!» وأصبحت عيناه كقطعتي حديد الآن وفمه أصبح كخط رفيع وجسده منقبضاً تماماً وهو يجلس إلى الأمام في مقعده.

أعلمه روجر ببرودة: «كنت هناك لأجمع الشتات، نعم.»

قال له وولف: «امثالك يشعرونني بالغثيان!»

«الرجال مثلك!» قاطعت سين بنفاد صبر: «قلت توقفا!»

وتابعت: «أنا لست عظمة بينكما يمكن لكلٍ منكما ان يتصارع عليها. وعلى ما يبدو فقد نسيتما انني راشدة، ولي تفكيري الخاص بي، وفي استطاعتي أخذ القرارات والاختيارات التي تناسبني. ويسعدني في هذه اللحظة ان تخرسا!» وكانت تتنفس بسرعة من شدة توترها.

قالت لوولف بقوة: «أنت سأنقلك إلى المدينة حالما أغتسل وأرتدي ملابسي، وأنت...» واستدارت ناحية روجر: «سوف أتكلم معك حول هذا الموضوع عندما

تكون في حال فكرية أفضل، وهذا ليس الوقت المناسب لنفعل ذلك.»

اضافت وهي تنظر ناحية وولف فهو كان مستفزاً منذ أن حضر روجر: «لا أستطيع تحمل المزيد.»

وقف روجر فجأة واضعاً فنجان القهوة الممتلىء على الطاولة. «إذا احتجتني تعرفين أين تجدينني.» وتقدم ليقبل سين من خدها بخفة: «وإذا سمحت لنفسك بالتورط معه من جديد فلا بد انك ستكونين بحاجة إليّ.» أضاف بتجهم وهو ينظر إليها بشفقة هازاً برأسه.

وقف وولف أيضاً وفمه ملتو بسخرية: «أبهذه الطريقة تحاول البقاء في حياتها يا كولينز؟ بأن تبقى دائماً قريباً لتجمع الشتات؟»

«أيها السافل!» كانت ردة فعل سين غريزية، وتقوست يدها وهي ترفع أصابعها لتقوم بصفع وولف على وجهه. وعلا صوت الصفعة بصمت الغرفة وبدأت بصمات أصابعها تظهر على وجهه المتقلص، بينما سقطت يد سين إلى جانبها. وحده وولف يستطيع أن يستثير ردة فعلها العنيفة!

حذرها روجر بسخرية: «استمري في التفكير بهذه الطريقة، يا سين، لأن هذه هي الحقيقة!»

كانت سين مرتعبة من ردة فعلها وحملقت برعب غريب إلى وجه وولف بينما كان لون خده يتغير، وانطبعت أصابعها بلون أبيض على وجهه الأسمر. لم يقل وولف شيئاً، فقط استمر ينظر إليها لدقائق طويلة قبل أن يستدير لينظر إلى الرجل الآخر. «اعتقدتك قلت انك ذاهب؟»

انبهرت سين من غطرسته ولم تكن تعرف سبب شعورها

هذا تجاهه. فهي بالتأكيد لم تتصور أن ردة فعلها الطبيعية على إهانته الواضحة لروجر سوف تغير شيئاً من كرهه الرجل الآخر. ذكرته سين: «هذا بيتي يا وولف، وروجر مرحب به أكثر منك، في أي وقت.»

رفع حاجبيه بازدراء وقال برقة متحدياً: «ولكن أنا من قضى الليل هنا معك.»

ذهلت سين من جديد من التلميح المباشر في كلماته هذه المرة، فكلاهما يعلم انه لم يمض الليلة «معها» ولكن مع ذلك فقد كان مصمماً على اعطاء روجر هذا الانطباع: «أنت...»

أجابه روجر ببرودة: «سين دائماً بلهاء عندما يتعلق الأمر بك.» ويداه متقلصتان إلى جانبه. «ولكن أتمنى أن تقول لك إلى أين تذهب هذه المرة.» نظر إلى سين بغضب، طالباً منها أن تفعل ذلك.

«فليذهب إلى الجحيم!» واكفهر وجهها من الغضب عندما نظرت إلى وولف. بدا فم وولف مراوغاً: «وعدت» أعلم سين بخبث: «فات الأوان يا سين، لقد كنت هناك.» وقال بقسوة وعيناه تلمعان: «ولا أنوي العودة إلى هناك!»

«أنت...»

قاطعه روجر بتجهم: «أعتقد ان الوقت قد حان لأترككما تناقشان هذا بينكما.» وتحرك يحتضن كتفي سين بين ذراعيه. «ولكن لا تعتقدي بأنه قد تغير، يا سين.» أنبها بلطف فيما نظراتها معلقة بنظراته. «لأنه سوف يحطمك كلياً من جديد.» وهز رأسه مهموماً.

كانت تعلم انه على حق، وكانت تعلم انه ليس على وولف حتى المحاولة، إذ أن وجوده في حياتها كافٍ فقط

لتحطيمها، ولهذا عليه أن يكون خارج حياتها في أسرع وقت ممكن!

أكدت له بقوة: «سوف يذهب، يا روجر، وحالاً.»

قال وولف برقة: «حسناً حالما تضع عليها بعض الملابس، على كل حال.» استدارت سين ناحيته بقوة مليئة بالغضب على شكله الهازىء بينما كان يرد نظرتها.

قالت له بتوتر وعيناها لم تتحركا عن وولف: «ربما من الأفضل أن تذهب يا روجر فما علي قوله لوولف من الأفضل أن يتم بيني وبينه!»

ستستطيع أن تقول له تماماً ما تعتقده فيه، وعن تلميحاته ما أن يصبحا وحيدين!

عصر روجر كتفيها قبل أن يتركها. «سوف أتصل بك.» وعدها بذلك دون أن يولي وولف أي نظرة قبل أن يذهب، وأغلق باب الكوخ وراءه برقة.

لو سقطت ابرة لكانت سمعت في السكون الذي تلى رحيل روجر، قبل الانفجار الكبير. لأن سين لم تشك للحظة بما سوف يحدث ـ ولأنها نوت أن تكون هي من يقوم بذلك، كانت عيناها تلمعان بشدة عندما استدارت لتنظر إلى وولف، واتسعت عيناها بالغضب العميق عندما عرج إلى كرسي وجلس عليه بوهن، وتعبير الألم عاد إلى وجهه. قالت سين باستهزاء: «لا تحاول استدرار عطفي كمحاولة لمنعي عن رميك إلى الخارج، بعد هذا العرض الذي قدمته أمام روجر أنوي أن أجعلك تعود سيراً على قدميك إلى المدينة!»

تراجع وولف في جلسته إلى الوراء بوهن وأغمض عينيه لبضع ثوان قبل أن يعاود النظر إليها من جديد. قال بقسوة:

وهذا تماماً ما كان يحدث يا سين، ولو بقي كولينز أكثر ربما كنت سأنهار عند قدميه.» ختم كلامه بتجهم. لم تتغير تعابير سين: «وبعد الانطباع الخاطىء الكامل ربما حاولت تركك هناك.» أومأ فجأة: «لا أشك بذلك.»

أجابته بنفاد صبر: «وماذا اعتقدت نفسك فاعلاً؟ ألا يكفي أن روجر علم بأمرنا منذ سبع سنوات، دون أن تقوده إلى الاعتقاد...»

قال وولف وهو يجلس بتململ: «كنا مخطوبين منذ سبع سنوات. ولماذا لا يعرف بأمرنا؟»

قالت بسخط: «ليس هذا ما قصدته... وانت تعرف ذلك هو يعرف كيف انتهينا ولماذا، ولتعطيه انطباعاً كاذباً بأن هناك شيئاً بيننا مرة أخرى الآن، كان...»

«طبعاً هو يعرف سبب انفصالنا، يا سين.» وكان وولف واقفاً على قدميه وتحرك ناحيتها. وقال بقسوة وهو يقف أمامها: «ولكن إذا لم يكن كولينز هو السبب...»

قالت سين محدقة فيه: «لم يكن هناك أحد منذ سبع سنوات! لقد كان هناك من أجلي، يا وولف، عندما...»

قاطعها وولف بتجهم: «عندما لم أستطع أن أكون! لكنني هنا الآن، يا سين.»

«ليس لوقت طويل! قلت لك حالما أرتدي ملابسي سوف أعود إلى المدينة، لا آبه أين، طالما أنه بعيد من هنا!»

بدا وولف وكأنه لم يعد يستمع إليها، وتذكيرها بأن ارتداء ملابسها بدا وكأنه لفت انتباهه إلى حقيقة انها واقفة أمامه وهي ترتدي فقط إزاراً حريرياً رقيقاً فوق قميص نوم حريري مساو له.

رفع رأسه الذي كان مرتاحاً على كتفها عندما أحس بحركة رفض عفوية قامت بها سين. عندما رأى تعبير الألم في عينيها العميقتين اختفت السعادة ببطء من ملامحه القاسية، وتقطيب داكن ارتسم على حاجبيه وهو ينظر إليها: «لم نقم بشيء خطأ، يا سين.» أخبرها بتجهم هازاً رأسه. لم نقم بشيء خطأ! لم يتعانقا منذ سبع سنوات، وحتى مساء أمس كان وولف على وشك الزواج من امرأة اخرى. فكيف يقول ان هذا ليس خطأ؟ بالتأكيد كان خطأ بالنسبة إليها. دفعته من صدره. وأخيراً ابتعد عنها، محرراً إياها من قبضته، وأشعة الشمس المبهرة تدخل عبر النوافذ بوضوح مظهرة سمرة وجه وولف الجميلة وهو يقف بهدوء على رجليه.

اقفلت سين ازارها وقد احمر وجهها وهي تشده على جسدها تحت نظرات وولف المراقبة. «أنت.» وقطعت كلامها عندما سمعت صوت سيارة قادمة، وقد ارتسمت معالم الجزع على ملامحها. من أيضاً يمكن أن يسأل عنها يوم الأحد صباحاً؟ إلا إذا كان روجر قد عاد لسبب ما؟

سمع وولف صوت السيارة في الخارج أيضاً، وتقدم ليلقي نظرة عبر احدى النوافذ الصغيرة، غير مهتم: «إنه جيرالد.» قال بقسوة وهو يستدير لينظر إلى سين وبدت تعابيره وكأنها تتهمها بتجهم: «يبدو ان الرجال في حياتك يتساقطون فوق بعضهم اليوم، أليس كذلك؟»

«جيرالد هاركورت هنا؟ الآن؟» عندما هي ووولف...؟ آه... كلا!

الفصل التاسع

قالت سين بنفاد صبر: «لا تقف هناك وترشق اتهامات، هي مجرد تفاهات.» وطلبت منه تغيير ملابسه كي لا يراه في ثياب النوم.

«أشك في أن جيرالد هنا كي يراني!» ناولته ثيابه، وهي تنظر إليه وهو لا يأتي بأي حركة ليرتديها. فجيرالد على وشك الخروج من سيارته، سيقرع الباب الآن. تمنت فقط أن لا ينظر عبر النافذة أولاً!

حثته بقلق: «وولف!» وهي تصوب نظرات قلقة نحو الباب. تحرك أخيراً مبتعداً عن النافذة، مع أنه لم يحاول أن يتحرك ليغير ملابسه: «ماذا تعنين بذلك، أتنكرين أن جيرالد هنا من أجل رؤيتك؟ هذا بيتك.»

ذكرته سين بازدراء: «حتى يوم أمس كنت على وشك الزواج من ابنته» وهي تسحب الستارة قليلاً لتنظر خلسة من النافذة. ونزل جيرالد من السيارة وقطب حاجبيه وهو ينظر إلى سيارة وولف المتوقفة على الطريق أمام سيارته. «لقد علم انك هنا يا وولف.» وأسدلت الستارة قبل أن تلتفت لتنظر إلى وولف. وما زال جامداً لا يحاول تبديل ملابسه: «إن كنت لا تود القيام بتغيير ملابسك.» وهي تشير إلى الملابس التي في يده: «فعلى الأقل يجب أن تصعد إلى الأعلى، حيث غرفة النوم حتى لا يراك جيرالد!»

قال بعبوس: «لا أعطي أهمية لأمر رؤيته لي.»

قالت سين وهي تنظر إليه: «ولكن أنا أفضل أن تهتم بأمري. وولف، إذهب إلى الطابق العلوي.» قالتها بصوت قاسٍ. فهو لا يأبه لنفسه ولكنها لا تعلم كيف سيفكر جيرالد فيها، خاصة مع جهله للماضي. وشكت بأنه سيبقى لمدة كافية لتوضح له ذلك. ما ان يرى وولف حتى يقوم باستنتاجاته الخاصة!

عمق تعبير وولف أكثر: «طبعاً أنا أهتم بأمرك! أي نوع من الرجال تعتقدينني؟»

قالت باعياء: «صدقني لم أعد أعرف يا وولف» بينما كانت تسمع خطوات جيرالد في الخارج: «النوع الذي لن يهينني أمام والد ريبيكا، كما أتمنى.» أرادت منه أن يصعد إلى فوق الآن، ويداها متقلصتان إلى جانبيها.

رد وولف برقة: «والد ريبيكا هل هكذا حقاً تفكرين فيه؟»

«طبعاً، أنا... أوه، وولف ليس الآن.» حثته وهي تسمع دقات جيرالد على بابها: «أرجوك!»

لثوانٍ لم يتحرك، وبعدها أومأ باستفزاز واستدار ليذهب إلى المطبخ آخذاً ملابسه معه... نظرت سين إلى غرفة الجلوس بقلق خوفاً من أن يعود، ثم توجهت نحو الباب لترد على دقة جيرالد الثانية القوية. كان يعرف انهما موجودان في الداخل بسبب وجود سيارتيهما المتوقفتين في الخارج، فلا بد أنه كان سيتساءل عما يشغلها.

شدت سين حزام إزارها حول وسطها. وهي تزيح خصلات شعرها إلى الوراء عن وجهها. وأصلحت في مظهرها المزري. احمر وجهها من التوتر، والبقعتان الحمراوان تتقدان على وجهها وهي تفتح الباب أخيراً:

«جيرالد» حاولت أن تبدو مسرورة وبنفس الوقت مستغربة وهي تبتسم له.

الابتسامة المتبادلة لم تكن نابعة من قلبه بدا وكأنه لم ينم طوال الليل. خطوط الإعياء بادية حول عينيه. وبدا واضحاً اليوم أنه في الثالثة والأربعين.

«حاولت أن أتصل بك قبلاً، ولكن يبدو أن هاتفك معطل...» نظر إليها مستفهماً ولم يحاول الدخول إلى الكوخ، مع أن سين شرعت له الباب ليمر.

لن تلومه على حذره، فلا بد أنه متعجب لوجود سيارة وولف المتوقفة أمام كوخها: «حادث خفيف للشريط، كما أخشى» وقالت متهاونة: «عليّ أن أتصل بمهندس ليأتي ويصلحه. تفضل بالدخول يا جيرالد، فالجو بارد كما اعتقد.»

كان جيرالد حريصاً لدى دخوله إلى الكوخ إذ انحنى عندما مر عبر الباب، ولكنه عبس قليلاً عندما رأى فوضى غرفة الجلوس، الأثاث المبعثر قرب الجدران.

احمر وجه سين لعدم تنظيم الغرفة وقالت بوهن: «اعتذر للفوضى، ولكن أنا...»

قاطعها وولف برقة: «انها غلطتي، كما اخشى.» آتياً من المطبخ بكامل ملابسه الآن. ارتاحت لرؤية منظره. منحنياً بتثاقل على العكازين اللذين لم يكن بحاجة اليهما باكراً هذا الصباح.

«ماذا حدث؟» بدا جيرالد كالأبله عندما صدم بمنظر العكازين وقدم وولف المضمدة. حدقت سين بوولف أيضاً، متعجبة مما سيقوله كجواب لفضول الرجل الآخر الظاهر.

أخبر جيرالد بثقة: «لقد قدمت البارحة إلى هنا لرؤية الآنسة سميث آملاً أنها تستطيع أن تساعدنا أكثر في ما يخص ريبيكا. وعندما كنت هنا تعثرت بشريط هاتفها، ولهذا قطع الخط كلياً.» أضاف برشاقة: «وارتض كاحلي فوق ذلك» مستهزئاً من نفسه.

أدركت سين الحقيقة طبعاً، كان عليها أن تعرف أن وولف لن يفاجأ بوصول الرجل الآخر، كما كانت هي. ولماذا عليه ان يكون؟ ما قاله الآن هو صحيح تماماً! نظر جيرالد إلى كاحل وولف باهتمام: «هل كسر؟»

أضاف وولف بخفة: «كلا، ولكنه مرضوض، لذلك لم استطع القيادة في طريق العودة إلى المدينة مساء أمس.»

استطاعت سين ان ترى السؤال في عيني جيرالد، اذاً لماذا لم تصحبه سين إلى المدينة!

«طبعاً عرضت علي سين اصطحابي إلى المدينة ولكن تعرف حالة امي الصحية.» ونظر في اتجاه جيرالد: «كان من المستحيل بالنسبة إلي الذهاب إلى هناك.» وافقه جيرالد بتقطيبة: «أجل... أجل طبعاً.»

«وعرضت علي سين بلطف أن أبقى هنا ريثما أستطيع الحراك.» وابتسم لسين ابتسامات شكر، فقط قسوة نظرته كذبت اعترافه بالجميل.

«هل من أخبار عن ريبيكا؟» استدار بحدة ناحية الرجل الآخر. آه، بدا جيرالد مأخوذاً للحظة ونظر بعدم ارتياح إلى وولف.

كانت هناك أخبار جديدة كثيرة، كما كان ظاهراً، فجازفت سين بالتكهن بها في محاولة لانقاذ الموقف.

مع أن تغيير الموضوع بدا وكأنه قد نجح في أبعاد انتباه جيرالد بعيداً عن حقيقة معرفة وولف لعنوانها. لأنه ما كان عليه ذلك، حسب المسار الطبيعي للأحداث! قالت سين جازمة: «قهوة، اعتقد اننا بحاجة إلى بعضها» أوضحت عندما استدار الرجلان ينظران إليها. وقالت بحدة: «وبعض الخبز المحمص أيضاً» بدت وجبات الطعام أمراً من الماضي منذ وصول وولف أمس! تركزت عيناه عليها مستفهماً كما لو أحس بتوضيحها. «القهوة والخبز المحمص يبدوان جيدين.» أومأ ببطء وهو يراقب سين بتمعن، عندما التقت نظراتهما، وأضاف بتفكير: «علي أن آخذ مسكناً للآلام على كل حال.»

«جيرالد!» استدارت سين بشكر إلى الرجل الآخر. والتوتر على وجهه بدا وكأنه ازداد منذ أن طرح موضوع ريبيكا من جديد. آه، لم تبد الأخبار جيدة ابدا. أدركت سين بانقباض.

اجابها: «شكراً. عليّ أن أعترف، بأن الفطور كان أبعد شيء عن تفكيري هذا الصباح، بعد...» وقطع كلامه بأسى وكأنه أدرك أنه يعيد الموضوع الذي كان من الأفضل أن يضعه جانباً إلى أن يتناولوا شيئاً من الطعام والشراب. نظر إلى سين بامتنان قبل أن يجلس: «القهوة والخبز المحمص يبدوان رائعين.»

«أنا آسف يا وولف.» وقف على الفور عندما رأى صراع الرجل الآخر ليبقى مسنوداً على العكازين والجلوس على الكرسي في نفس الوقت.

«هل أستطيع أن أساعدك؟»

اعتبرت سين وولف قادراً تماماً على الحركة من دون

الإعتماد على العكازين منذ نصف ساعة مضت. وقررت أن تترك الرجلين يدبران أمرهما وهرعت إلى المطبخ في حين قام جيرالد بمساعدة وولف على الجلوس.

كانت المرة الأولى التي تختلي فيها بنفسها لإدراك جسامة ما حدث بينها وبين وولف هذا الصباح، وظهر إجهادها وهي تنحني بتثاقل على واحدة من وحدات المطبخ، غير قادرة حتى على التفكير بأخذ الفطور إليهما، عدا عن تحضيره فعلاً!

تساءلت بغيرة غير معقولة وغير منطقية، لأن هذا الصباح كان غير متوقع كلياً، ترى كم امرأة عرف وولف خلال السنوات السبع الماضية إلى جانب باربرا طبعاً...

باربرا. دائماً تعود إلى المرأة الأخرى. لماذا؟ آه، لماذا لم يتزوج باربرا ويدع النساء الاخريات؟ هذا لم يكن عدلاً. هنا كانت المشكلة، اعترفت بذلك بحزن على نفسها. سألها جيرالد: «هل تحتاجين مساعدة؟» وهو يقف وراءها عن قرب.

التفتت إليه وقالت: «لم أسمعك تدخل، شكراً. استطيع أن اتدبر الأمر وحدي.» أضافت بوهن، والابتسامة التي ظهرت على وجهها وصلت إلى حدود عينيها: «أرجو أن تعود إلى غرفة الجلوس وتنضم إلى وولف... مستر ثورنتون» استبدلت كلماتها بوهن عندما تذكرت العلاقة التي يفترض أن تكون بينها وبين وولف. قطب جبينه قائلاً: «اعتقد أنه من الأفضل أن ابقى هنا واساعدك!»

كان على سين أن تبتسم رغماً عنها ولكن؟ تكهنت بقسوة، وهي تحضر القهوة. فمن المحتمل أن يحتاجوا جميعاً إلى

شيء أقوى من النوع سهل التحضير قبل أن ينقضي الصباح!

قال جيرالد: «دعيني اقوم بذلك» وأخذ امر تحضير القهوة ووضع الفناجين على الصينية بينما كانت سين تضع الخبز لتحمصه.

لم تضغط عليه، ليس عليها ذلك، تستطيع أن تخمن أكثر أو أقل. ما يمكن ان يقوله لهما وكان على حق، يستطيع أن ينتظر.

علق وولف بازدراء: «لم يكن لدي أي فكرة انك تحب المشاركة في الأعمال المنزلية.» عندما كان الرجل الآخر يحمل الصينية إلى غرفة الجلوس.

نظرت سين إليه نظرة عتب وهي تحمل طاولة القهوة لتضعها امامه حتى يضع جيرالد الصينية عليها.

سألت سين باستهزاء: «سكر؟» وهي تجلس لتسكب القهوة، فمزاجه سيتحسن بالمذاق الحلو!

لم تذهب محاولتها سدى، فقوس حاجبيه: «فقط سوداء مثل العادة، شكراً.» مثل العادة، لاحظت سين، وتوتر فمها وحاولت ألا تلتقي بنظراته، وهي تناوله قهوته، لماذا تضيع وقتها بمحاولة التبارز معه لفظياً؟ فهي دائماً تخسر!

«إذاً، جيرالد،» استدار ناحية الآخر ما أن تناولوا فناجين القهوة والخبز المحمص: «ماذا عندك لتخبرني به وهو، كما يبدو، مهم إلى درجة انك قدمت لرؤيتي هنا بدلاً من انتظار عودتي إلى المدينة؟» أضاف قائلاً: «لا أنكر انك قد قلت انك اتيت لرؤيتي..» ونظر إلى الرجل الآخر بحاجبين مرفوعين بتساؤل.

أخبره جيرالد بفظاظة: «لن افعل، أتيت في الواقع لرؤية

سين لنفس السبب الذي قدمت انت من أجله، لأرى إذا كان هناك أي شيء تستطيع اخباري به فيما يتعلق باختفاء ريبيكا.» واستعلم برقة: «أفهم ذلك، وهل كان هناك؟»

عبس جيرالد من السؤال: «لم أحظ بفرصة سؤالها بعد.» أحست سين بالأسف تجاه جيرالد. ولكن لم يكن بيدها حيلة وهي تعرف تماماً أن وولف مدفوع بأكثر من مجرد اختفاء ريبيكا، في الحقيقة، في هكذا ظروف، فكرت انه من الأفضل لو أنها تبقى خارج موضوع النقاش برمته!

لكن كان لوولف أفكار أخرى! دعاه بقسوة: «إذاً، هيا اسألها، لقد كان لدي انطباع بأنه بسبب بقائكما في المطبخ لمدة، انكما ناقشتما الموضوع.»

سارعت سين إلى الإجابة: «لقد كنا مشغولين بتحضير الطعام.» حقاً لقد بدأ يبدو كعاشق غيور، شيء عرفاه معاً أنه لم يكن عليه: «وأخشى أنني لا أستطيع أن أضيف أي شيء على ما سبق أن اخبرتك به عن ريبيكا.»

قال وولف برقة: «لا تستطيعين، أو لا تريدين؟» ونظر إليها بتمعن. أجابت بحدة: «لا أستطيع.» ولم يكن في نيتها كسر ثقة ريبيكا فيها. ولكن في الوقت نفسه شعرت بالحرارة تصعد إلى وجهها. وعرفت أن هذا سيجعلها تبدو مذنبة.

لكن إذا كان افتراضها بخصوص جيرالد صحيحاً، فليس من حاجة لها للتورط في التفاصيل الغريبة لقرار ريبيكا بألا تتزوج من وولف. هذا إذا كان افتراضها صحيحاً.

قال جيرالد متنهداً: «عادل كفاية، ولكن عليك أن تعرف يا وولف أن ريبيكا اتصلت بي هذا الصباح هاتفياً، يبدو أنها

عندما قررت الذهاب بعيداً لتفكر، لم تذهب بمفردها.» والكلمات الأخيرة خرجت مسرعة من فمه، كما لو أنه كان قلقاً لإنهاء هذا الأمر الآن خاصة وأنه قد بدأ فيه.

«أنا آسف يا وولف» اضاف بحزن: «ولكن يبدو أن ريبيكا على علاقة بالشاب غلين رينولدز.»

غلين، إذاً هذا هو اسم البستاني. يبدو الاسم لائقاً بشكله.

كانت سين تغوص في أفكارها! ما يهم اسم الرجل؟ على الارجح أنه ليس الجزء الذي يهم وولف.

لم تتحمل أن تنظر إليه، كانت هذه هي المرة الثانية التي تتخلى فيها خطيبته عنه، وفي كلتا المرتين، كما يبدو، الذهاب إلى رجل آخر، ولكن، في حالة سين لم يكن ذلك صحيحاً حقاً. وإنما هذه المرة، مع ريبيكا، كان كذلك. كيف يمكن أن يفكر وولف؟

كان من الصعب قول ذلك من تعبير وجهه، ونظرة قلقة في عينيه وفمه مطبق جيداً. قال بهدوء: «ومن هو غلين رينولدز؟»

بدا جيرالد متضايقاً أكثر من أي وقت مضى. صرح على مضض: «الشاب الصغير الذي يعتني بحديقتي» وتجهم وجهه محرجاً وهو ينظر إلى وولف بأسف بالغ.

نظرت سين إليه ايضاً محاولة أن تفسر ردة فعله على هذا الموقف. مرة أخرى كان من الصعب أن تقول. فتعبيره كان غامضاً مع أن جسده كان متوتراً جداً. كادت سين أن تشعر بالأسى تجاهه. لو لم تكن تعرف انه لا يزال يملك باربرا في حياته.

أسرع جيرالد يقول واهناً عندما لم يقم وولف بأي رد

على كلامه: «لم يكن لدي أي فكرة يا وولف، لو كان لدي لكنت تدخلت.» سأله وولف مقطباً جبينه: «لماذا؟»

بدا جيرالد مشوشاً: «لماذا؟» أضاف بذهول محركاً كتفيه بعدم ارتياح: «حسناً، لأن...» استفزه وولف بنعومة: «نعم؟»

«حسناً... أنا... يا رجل، إنه البستاني!» فسر جيرالد بازدراء: «طبعاً كنت سأحاول أن اضع حداً لهذا. ماذا يمكن أن يكون لديهما هو وريبيكا من قواسم مشتركة؟»

لوى وولف فمه وتمتم بخبث: «غريب لم اتصور أنك ارستقراطي، يا جيرالد.» تورد وجه الرجل الأكبر سناً: «الأمر لا دخل له بكوني ارستقراطياً، ولكن ريبيكا هي ابنتي الوحيدة، طبعاً اريد الأفضل لها!»

اعطاه وولف إيماءة من رأسه: «ألهذا السبب شجعتها للزواج مني؟»

دافع جيرالد عن نفسه: «طبعاً، هي لم تكن ضحية مكرهة، يا وولف!» عندما ادرك أن الرجل الآخر قد اوقعه في شرك الكلام.

أضاف بسخط: «لطالما، اعجبت بك ريبيكا، انت تعرف ذلك، اللعنة. لقد ارادت الزواج منك!» استمر وولف محدقاً به، وحاجباه مرتفعان. وقال بتجهم: «ارادت، يا جيرالد، فعل ماض.»

وأضاف بخفة: «والآن، بما أنه يحق للمرأة ان تغير رأيها لأي سبب كان، وطالما هي بخير مع هذا الشاب كما نفترض، لن يصيبها سوء، أنا لا أرى...» كرر جيرالد بازدراء: «لن يصيبها سوء! فهي تقيم، لا أدري أين، مع

الشاب رينولدز، ولا تعتقد أنه قد يصيبها سوء!» ارتفع صوته من شدة الغضب: «جيرالد، ريبيكا تجاوزت الثامنة عشرة، وقد ذهبت معه برضاها. لا أرى أنه يمكن لأي منا أن يفعل أي شيء آخر.»

«لكن كنتما على وشك الزواج!» وقف جيرالد لينظر إلى وولف. أومأ وولف مهدئاً: «والآن ريبيكا قررت أنها لا تريدني ولا تحبني.»

رد عليه جيرالد بغضب: «ولكن ماذا عنك؟ إذا كنت تحب ريبيكا حقاً لِمَ تخليت عنها بهذه السهولة؟» اتهمه ويداه متقلصتان إلى جانبه.

هز وولف كتفيه: «أنا أهتم بريبيكا كثيراً، وأنا أكيد أننا كنا نستطيع المشاركة بزواج لا بأس به، مبني على أساس الاهتمام المتبادل. ولكن أنا بالتأكيد لن ألحق بها مثل صبي مغرم، إذا كان هذا هو قصدك. إذا كان رينولدز هو من تريد، فأنا اتمنى لها الخير.» وانهى كلامه.

استمعت سين إلى الحديث المتبادل دون أن تشارك فيه. ماذا في استطاعتها قوله لتخفف من حدة التوتر القائم الآن بينهما؟ أن تعرّف وولف إزاء خروج ريبيكا من حياته يذكرها بألم شديد بالطريقة التي تصرف بها منذ سبع سنوات عندما اخبرته أنها لن تتزوج منه.

«حسناً، ربما لا تهتم بمنع ريبيكا من ارتكاب أكبر غلطة في حياتها، ولكن بالتأكيد أنا أفعل!»

قال وولف برقة: «إنها ابنتك.»

قال جيرالد باتهام: «كانت خطيبتك! من الواضح انك لم تعد مهتماً بما يحصل لريبيكا. و..» وقطع كلامه فجأة،

وارتسمت على وجهه علامات إدراك لما يجري حوله، عندما نظر أولاً إلى وولف وبعدها نظر إلى سين. وبدأ وجهها يلتهب من التعبير الذي رأته في نظراته، قبل أن يستدير إلى وولف وابتسامة قد ارتسمت على فمه. قال ببطء: «كم كنت غبياً! ولكن ما مدى اصابة كاحلك يا وولف؟» نظر إلى الرجل الآخر بشك، ليرد عليه وولف الذي وقف دون مساعدة العكازين، واضعاً ثقله على قدميه الاثنتين كما لو لم يكن هناك أي ورم في كاحله. اللعنة عليه!

«إلى هذا الحد.» أدرك جيرالد كارهاً نفسه، والتفت لينظر إلى سين ويقول: «لقد فوجئت بك يا سين.» ثم قال بخيبة أمل: «لا بل أنا مذهول هي الكلمة الملائمة لوصف ما أشعر الآن.» أضاف هازاً رأسه بذهول: «لا أستطيع أن أفهم شيئاً من هذا.»

سارعت سين مؤكدة له: «ليس هناك من شيء غامض لتفهمه، أن وولف قد لوى كاحله حقيقة، ولو رأيته ليلة أمس لعرفت تماماً لماذا لم أنقله إلى المدينة..»

«والشيء نفسه يمكن أن يقال عن هذا الصباح، يا سين.» كان وولف من قال ذلك. التفتت لتحدق به: «لم يكن هناك وقت لانقلك إلى أي مكان هذا الصباح، فمع زيارة روجر المبكرة، وبعدها... نعم؟» استفزها وولف بخبث عندما قطعت كلامها فجأة واحمر وجهها وهي تتذكر جيداً ماذا حصل بعدها. كم كرهته في تلك اللحظة. هو في الحقيقة كان يحاول اهانتها امام جيرالد، ولكن لماذا؟ لأنه اراد أن ينقذ كرامته بعد أن رفضته ريبيكا!

قالت له: «تستطيع العودة مع جيرالد إلى المدينة!» احست

بشعور عميق بالارتياح من فكرة أنه ليس عليها أن تقضي وقتاً أطول برفقته.

تابعت: «أنا أكيدة من أن هناك الكثير لتتكلما عنه، وليس هناك افضل من فرصة الذهاب إلى لندن.» وبما أن الفكرة الآن أصبحت واقعاً، شعرت بالسعادة في أعماقها لضربة الذكاء التي قامت بها. طبعاً يستطيع وولف الذهاب إلى المدينة برفقة جيرالد، إنه الحل الأفضل.

لم يبد على وولف الإرتياح، والتكشيرة الداكنة عادت إلى وجهه الآن وعيناه تلمعان بخطر وهو يحدق بها بسبب اقتراحها. قال لها بحدة: «لا أنوي الذهاب إلى المدينة الآن. فأنا أعتقد ان لدينا الكثير لنناقشه.»

لم تستطع سين حتى النظر إلى جيرالد وهو لا يزال يراقبهما بتمعن: «لقد سبق واخبرتك يا وولف، إذا غيرتما أنت وريبيكا رأيكما بشأن زواجكما وقررتما المضي به بعد كل ما حدث، فأنا سأكون سعيدة بالمناقشة معكما في ما يختص بالترتيبات، وإلا، عملنا معاً قد انتهى.» نظرت إليه متحدية طالبة منه أن يذهب الآن. فهي بحاجة ماسة لأن تكون وحدها الآن لتلملم بقايا كرامتها.

رد وولف برقة: «هل أنت...؟» ونظراته القاسية تتمعنها بغير رحمة وأردف قائلاً: «ربما أنت على حق» قال جازماً واستدار لينظر إلى جيرالد: «هل تستطيع أن تنقلني إلى شقتي؟» لم يكن هناك من شك أن جيرالد يستطيع، ولكن هل هو يريد؟ هذا هو السؤال. فبعد تعذيب وولف المقصود لسين، فان الرجل الآخر يشك بأنه قد حصل الكثير خلال عطلة الأسبوع هذه بينها وبين وولف. ونظراً لما كانت

عليه علاقة وولف بابنة جيرالد حتى الأمس، فإن الرجل الأكبر سناً، له كل الحق ليشعر بالغضب لفكرة ما يكون قد جرى.

نظرت سين إلى جيرالد بدورها وهما في انتظار جوابه، وبدا لوم صامت في عينيها. عبس عندما رأى الإعتذار، ومن الواضح أنه احتار من العلاقة التي تطورت ظاهرياً - في ليلة واحدة - بين خطيب ابنته والمرأة التي طلب منها المساعدة بشأن تلك الابنة بالذات للتحضير لحفل الزفاف.

لكن من خلال نظرة واحدة استطاع سبر اعماق سين. استدار وأومأ لوولف بالموافقة قائلاً: «ربما نستطيع استغلال الوقت بالكلام. إذا كنت مستعداً للذهاب الآن...؟»

أومأ وولف باقتضاب: «لا يبدو أن هناك أي سبب للبقاء. إذا كنت لا تمانع الإنتظار في السيارة؟»

بدا جيرالد وكأنه يمانع كثيراً: «سأكون في الخارج.» قال بإيماءة مختصرة. «إلى اللقاء يا سين.» وهو بالكاد نظر في اتجاهها قبل أن يرحل. واغلق باب الكوخ وراءه بقوة.

كان الصمت الذي ساد بعد رحيله متوتراً إلى درجة أن سين ارادت الصراخ، ويداها ملتويتان معاً امامها وهي تدفع نفسها لرفع رقبتها والنظر إلى وولف. بدا وكأن وجهه قد نحت من الصخر. هذا ما بدا عليه وجهه.

حاولت سين أن تدافع عن نفسها بالطريقة الوحيدة التي تعرفها وتزايد غضبها تجاهه بسبب العبارات التي قالها امام جيرالد: «لم تكن هناك ثمة حاجة لذلك.»

بدا ثابتاً ورد بقسوة: «لم تكن هناك...؟» وعبست فيه. لم

يدافع عنها عندما اعطى جيرالد الانطباع بأن هناك علاقة بينهما، إلا أنه جعل جيرالد ينفر منه ومنها. ادركت ذلك واتسعت عيناها غير مصدقة عندما عرفت ماذا حاول أن يفعل.

لم يصدقها عندما اخبرته أن لا شيء بينها وبين جيرالد. أو على الأقل إذا صدقها، فإنه الآن تأكد بأنه لن يكون هناك أي شيء بينهما. إنه ما زال قادراً أن يفعل أي شيء مثل هذا حتى بعد...

قالت له بكدر: «اخرج، يا وولف، فقط اخرج من هنا.»

قال بقساوة: «ليس قبل أن تجيبي عن سؤال واحد.»

في ما يختص بسين لم تعتقد أنه كان في موقع من يشترط. ولكنها شعرت بالإعياء في هذه اللحظة من محاولة الجدال معه: «ما هو؟» وتنهدت بتثاقل.

لوى فمه: «كنت تعلمين بأمر ريبيكا ورينولدز هذا، أليس كذلك؟» كان آخر ما توقعته منه هو هذا السؤال. حتى أنها فوجئت، وعبست بوجهه وهو ينظر إليها مقطباً وجهه. بللت شفتيها، وبلعت لعابها بصعوبة عندما رأت الغضب يلمع في عينيه الذهبيتين: «أنا...»

«علمت» قال باستهجان عندما رأى الشعور بالذنب على وجهها، ويداها متقلصتان إلى جانبيها.

ردت مدافعة عن نفسها: «نعم، علمت أن هناك أحداً ما. لم أعلم لا اسمه ولا أي شيء آخر، ولكنني علمت أنه يعمل عند جيرالد.»

توتر فم وولف: «ومع ذلك عندما قدمت إلى هنا أمس وسألتك إذا كانت ريبيكا قد اخبرتك بأي شيء آخر خلال

مكالمتها الهاتفية لك، قلت انك لا تعرفين شيئاً لا!»، هزت سين رأسها، والتقت نظراتهما بتحدٍ: «قلت انني اخبرتك بكل ما طلبت مني قوله.»

«لكن ليس كل شيء تعلمينه» ادرك وولف مزدرياً نفسه والابتسامة الملتوية على شفتيه لا تدعو للارتياح.

«حسناً، الآن كلنا يعلم، وأنا أعلم أي نوع من النساء أنت يا سين.» بلعت سين ريقها مرتجفة: «وأي نوع من النساء، أنا يا وولف؟» استفزته باشمئزاز ورهبة ولكن مع ذلك احتاجت لأن تعرف الجواب... ونظر إليها ببرودة: «إمرأة من النوع الذي شعرت بمرارة وقسوة لما حدث بيننا منذ سبع سنوات وأنها...»

عارضته سين: «هذا ليس صحيحاً!»

«انك تفعلين أي شيء لتعودي إليّ!» انهى وولف بقسوة، وكل عضلات وشرايين جسده متوترة بغضب: «أهذا ما كان الأمر عليه... هل أردت أن ترمي بوجهي كل الضعف الذي احمله تجاهك؟ من المؤسف أن جيرالد وصل وافسد اللحظة عليك!» نظرت إليه سين غير مصدقة. لا يمكن حقاً أن يصدق ما يقوله. ولكنها تستطيع أن ترى من خلال مرارة التواء فمه ما يعني، واستدارت بعيداً لكي لا يرى الدموع المتجمعة في عينيها. «فكر... كما تشاء... يا وولف. ولكن اتركني وحدي.»

أكد لها بقسوة: «آه أنا أنوي ذلك وسوف ابعث بأحد ما ليقود سيارتي، لذا لا تقلقي من احتمال أن نلتقي من جديد. لقد تدبرّنا أمرنا لئلا نفعل ذلك لمدة سبع سنوات، لا أرى مانعاً في أن نستمر بذلك!»

انتظرت سين حتى سمعت صوت الباب يغلق خلفه. اذاً، فهو قد تركها قبل أن تسمح لآهاتها بأن تفتت جسدها. دفنت وجهها بين يديها وهي تبكي وأحست بغصة في قلبها. وكان كذلك...

الفصل العاشر

قالت للفتاة الأخرى بحدة: «كلا، ياريبيكا، حقاً، أنا لا أستطيع.» وهما تجلسان حول مائدة الغداء.

اتصلت ريبيكا بالوكالة هذا الصباح بالذات لتطلب من سين موافاتها إلى المدينة لتناول الغداء لأن لديها شيئاً مهماً تريد مناقشته معها، متوقعة بغطرستها كصبية أن لا شيء أفضل لدى سين من الذهاب إلى المدينة لمقابلتها. وكان لدى سين العديد من الأعمال لإبقائها مشغولة. فتحضيرات الأفراح كانت تتجمع بزخم الآن، كما اعتقدت قبلئذ. ولكن نظراً لعلاقتهما القديمة، لم تشعر سين أن في استطاعتها أن ترفض طلب ريبيكا، مع أنها في هذه اللحظة تمنّت لو أنها فعلت. لقد مضى أكثر من شهر على خروج وولف من كوخها، اكثر من شهر على قدوم الرجل الذي ارسله ليأخذ السيارة وامتعته الأخرى. وباقة الورد التي تلقتها من ريبيكا والبطاقة المرفقة بهاالتي تحمل رسالة بسيطة: «شكراً لكل مساعدتك وتفهمك.» ولم تسمع أكثر من ذلك عن عائلة هاركورت أو وولف...

لم تتوقع بالتأكيد أن يكون أول اتصال لها بهم من جديد بعد كل ذلك الوقت من ريبيكا، تسألها مرة أخرى المساعدة في تحضير ترتيبات الزفاف! لم تستطع سين أن تتخيل ما جرى خلال الشهر الماضي، ولكن ريبيكا كانت تشع بالسعادة، ولا تظهر أياً من تلك الشكوك التي كانت واضحة

على سلوكها منذ شهر. وهي الشكوك نفسها التي جعلتها تهرب بدلاً من أن تمضي قدماً في الزواج من وولف. يبدو أن كل شيء قد اصطلح مرة أخرى، وريبيكا ارادت أن تعيد توظيف سين لتحضير كل الترتيبات، سألتها سين بعبوس: «هل يعلم والدك انك تتكلمين معي بخصوص هذا الموضوع؟» بالتأكيد جيرالد لن يكون سعيداً بخصوص هذا الأمر، بعد الانطباع الذي اعطاه وولف ذلك الصباح في كوخها.

ردت عليها ريبيكا بسعادة: «طبعاً، عندما أخبرته انني سأتصل بوكالتك، كانت كلماته الحرفية: «لا أهتم بمن تتصلين، طالما أنك ستمضين في هذا الزواج هذه المرة وكأنني لن أفعل.» وابتسمت حالمة.

نظرت إليها سين بتفحص. لم يكن هناك شك بالاختلاف الحاصل لريبيكا الآن. والسعادة تشعّ منها، ولكن هل هي حقيقة تستطيع أن تكون متأكدة من أنها تفعل الأمر الصحيح هذه المرة؟ لم يكن هناك من مجال أبداً امام سين لتطلع الفتاة على ما جرى بينها وبين وولف منذ شهر، هذا إلى جانب ما حصل منذ سبع سنوات، وكانت هناك باربرا تحوم في ماضي حياته، مثل غيمة داكنة تحجب نور الشمس والسعادة.

وقطبت سين سائلة ريبيكا: «هل أنت متأكدة هذه المرة حقاً؟» ردت الفتاة بدون تردد: «تماماً.» «وولف ووالدك... في آخر مرة رأيتهما، لم يكونا على وفاق تام» وجفلت سين من ذكرى تلك المحادثة.

ردت ريبيكا بهزة من كتفيها: «آه، هما بخير الآن، انها

الأعمال فقط. إن وولف سامحني على التصرف الغبي الذي قمت به.» من الواضح، ان سين انقبضت من الداخل. ولكن هل ستسامحه ريبيكا إذا اكتشفت ما حدث في عطلة نهاية الأسبوع التي ذهبت فيها بعيداً لتفكّر.

أكملت ريبيكا بخفة: «كثيراً ما ارى وولف، حتى انه وافق... أن يكون شاهداً في عرسنا.» نظرت إليها سين غير قادرة على الاستيعاب اتقصدين غلين هو العريس...؟

تابعت ريبيكا بسرور: «هذه كانت فكرتي» ـ غير واعية لتعبير الذهول على وجه سين: «لقد اعتقدت أنها ستكون تحية لطيفة، باعتبار أنه كان متفهماً فسخ خطوبتنا. اعتقد غلين أن وولف سوف يعاقبه، لكنني اكدت له أن وولف رجل شهم لن يفعل ذلك. وكنت على حق.» قطبت حاجبيها وعيناها الزرقاوان تلمعان: «قال وولف انه سيكون سعيداً لكونه الشاهد إذا لم يكن العريس. هل رأيت كم أنه رجل شهم.» وضحكت ريبيكا بخفة!

إنه غلين الذي تنوي ريبيكا الزواج منه، إذاً؟ وليس وولف؟ ولكن سين رأت ان هنا مكمن المشكلة. اعتقدت ذلك، وكان اعتقادها خاطئاً!

فوجئت من نفسها عندما شعرت بالارتياح يغمرها لعلمها أن وولف لن يكون زوج ريبيكا في نهاية المطاف وليس عليها الآن أن تهتم بما سيفعله وولف بعد الآن، ولكنها...

حاولت أن تقنع نفسها خلال الشهر الماضي بأنها لن تهتم لأمر وولف بعد الآن، وكادت تعتقد أنها نجحت إلى أن اخبرتها ريبيكا أن الزفاف المخطط لشهر آب ـ اغسطس قد

عاد إلى الواجهة. والألم من هاجسها بأن وولف على وشك الزواج قد قطعها كما تقطع السكين، واوجعها في صدرها. والآن هي تعلم أن وولف ليس هو العريس المعني.

لم يكن عليها أن تشعر بمثل هذه السعادة حيال ذلك، وما يفعله وولف في حياته لا يهمها. لكن! كم تمنت لو أنه لا يهمها فعلاً!

في الحقيقة، مع أن وولف لن يكون العريس، فان الأمر لم يعط أي اختلاف في الجواب الذي سوف تعطيه لريبيكا. وولف سيكون الشاهد في العرس. ولم يكن هناك من مجال لتجنب رؤيته مرة أخرى في آب ـ اغسطس أو أي وقت آخر.. «هل والدك موافق على غلين الآن؟» وقطبت جبينها وهي تتذكر مشاعر جيرالد في آخر مرة تكلمت معه بخصوص فكرة تورط ريبيكا مع البستاني. تجهمت ريبيكا بتعاطف: «هو كذلك الآن.» مظهرة لسين أن إقناع والدها بصوابية اختيارها لغلين لم يكن سهلاً كما تمنتْ.

«لقد قدم قرضاً لغلين. وهكذا يستطيع الانطلاق بأعمال زراعية في أرضه. طالما أن الأمر هو قرض فذلك مقبول. فلغلين كبرياؤه وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بمال أبي. فهذا الذي اتعبني لاقناع غلين بأن يراعي مصلحتنا نحن الاثنين في المقام الأول!» انهت بازدراء.

استقامت سين في مقعدها واخبرت الفتاة وهي تشعر بالسعادة من أجلها: «أنا سعيدة لأن الأمور تحسنت بالنسبة لك ريبيكا... ولكن؟» تجهمت ريبيكا عندما أحست بما سوف يلي ذلك. نظرت إليها سين مبتسمة: «لقد حذرتك في البداية» وهزت كتفيها: «اخشى أن الأعمال قد زادت خلال

الشهر الماضي. ولن استطيع ترتيب حفلة زواج أخرى حتى آخر الشهر.» شرحت بخفة شاكرة لكونها استطاعت قول الحقيقة. ولكن لو ضغطت ريبيكا عليها اكثر، لكانت استطاعت حتماً.

التعاقد بزفاف آخر، ربما. ولكن ليس ذلك الزفاف الذي سوف يقودها إلى أي مكان تحتك فيه مع وولف!»

بدت ريبيكا خائبة الأمل. «إذاً ربما علينا تأجيله لأيلول ـ سبتمبر.»! اثارتها بخفة: «ولكن كيف تعتقدين أن غلين سيشعر حيال ذلك، هل يحتمل أن ينتظر؟» وضحكت ريبيكا: «أنا من أصرتَ على الزواج المبكر. فأنا لا أريد أن اعطيه وقتاً ليغيّر رأيه!»

ذكرتها سين: «كما فعلت» متفهمة قلق جيرالد من أن ذلك قد يحصل من جديد. مع أنها لا تعتقد ذلك، فمن الواضح أن ريبيكا مفعمة بالسعادة لمجرد فكرة الزواج من غلين.

تجهمت ريبيكا: «اسبابي للهرب من الزفاف مع وولف مختلفة تماماً.» لم تشك سين في ذلك، كما لم تشك في ذلك الجزء من السبب الذي كان اسمه باربرا... قالت بخفة: «حسناً بما أن الأمور قد سوّيت الآن، أنا مسرورة جداً لأجلك ياريبيكا واتمنى لك ولغلين كل السعادة معاً. أنا فقط آسفة لعدم استطاعتي المساعدة في الترتيبات» هل ستسامح على هذه الكذبة! كانت تستطيع اختلاق أي عذر كي لا تتورط بأي شيء يمكن أن يقرّبها من وولف إذا لم تملك عذراً كافياً صحيحاً.

ردت ريبيكا بحرارة: «وأنا أيضاً لديّ الكثير لأشكرك عليه، لو لم تعطني النصيحة لما كنت ملكت الشجاعة لأخبر أبي، وولف بأنني لا أريد الاستمرار بالزواج.»

تجهمت سين قائلة: «لا تخبري وولف بذلك.»

ضحكت الفتاة الأخرى بصوت ابح: «إنه رائع. اليس كذلك؟»

وبدا صوت سين عادياً عندما سألتها: «كيف حال كاحله الآن، أفضل؟» أومأت ريبيكا: «تماماً. مع أنه يعمل بجهد كبير من جديد. ربما أنا لا أحبه كفاية لكي أتزوجه، ولكنني لا أزال اهتم لأمره. فهو ليس سعيداً.» برأي سين أنه يستطيع الاعتناء بنفسه، وتعاطف ريبيكا تجاهه لم يكن له داع ابداً. «فهو قد خسر خطيبته.» ذكرت الفتاة الأخرى بجفاء.

عبست ريبيكا قائلة: «وولف لم يكن يحبني أكثر مما كنت احبه. فقد قرر فقط أنه لم يعد شاباً وآن الآوان لكي يتزوج ويؤمّن وريثاً لثورنتون، طبعاً.» تمتمت سين بضعف: «رومانسي جداً!»

«آه، ليس كما يبدو عليه الأمر» وابتسمت ريبيكا لتعبير سين المزدري: «فشقيقه أليكس توفي في حادث تحطم طائرة منذ عدة سنوات وزوجته لم تكن تستطيع الانجاب. ولهذا، اعتقد أن وولف شعر بأنه مضطر لانجاب الوريث.» الآن ادركت سين سبب عدم زواجهما. وأخيراً حصلت سين على الجواب الذي اعاد إليها الخوف من وولف الآن أكثر من أي وقت مضى...

تمتم وولف مزدرياً نفسه: «لن أضرب رأسي للمرة الثانية.» وهو يحني رأسه ليتفادى السقف المنخفض وهو يدخل كوخها.

نظرت إليه سين بذهول. كان آخر شخص تتوقع رؤيته

واقفاً على عتبة بابها عندما ذهبت لتردّ على الدقات المتتالية على باب كوخها!

لم يكن قد مضى وقت طويل على عودتها من العمل، وكانت تحضّر بعض الطعام لنفسها. ولكنها تعرف أنها لن تشعر برغبة في الطعام بعد رحيل وولف! ماذا يفعل هنا؟ لم تكن مجرد صدفة، لقد اتى لرؤيتها في نفس اليوم الذي تناولت فيه الغداء مع ريبيكا. ماذا حدث الآن ليجعله يأتي. عندما التقيا في آخر مرة جعل الأمر يبدو واضحاً أنه لا يريد رؤيتها من جديد. شعرت بنفسها تتوتر وهي تنظر إليه عبر الغرفة.

استدار وولف عندما وصل إلى حيث المدفأة ورفع أحد حاجبيه بخبث، بينما كانت لا تزال متوقفة قرب الباب واحدى يديها تمسك بمقبض الباب جيداً. كان لا يزال يرتدي ملابس العمل، وهي إحدى البذلات القبيحة التي تكرهها سين عليه. وريبيكا كانت على حق. بدا حقاً وكأنه يعمل بجهد شديد ووجهه مسحوق وقاس، وبدا كأنه قد خسر بعض الوزن منذ آخر مرة رأته فيها سين.

ماذا يهمها إن كان يعمل بجهد أم لا؟ أنّبت سين نفسها بحدة. ماذا يفعل هنا؟

قال أخيراً باستغراب تشوبه خفة: «اخبرتني ريبيكا انكما تناولتما الغداء معاً اليوم.» وسين لم تكن لتخدع للحظة بمقدمته العادية. ناظرة إليه بتشكك وأومأت بجفاء: «نعم.»

لوى فمه بازدراء لقلقها الواضح: «قالت انك مشغولة في آب ـ اغسطس حتى أنك لا تستطيعين مساعدتها في ترتيبات زفافها.»

قالت سين: «هذا صحيح» وبدأ توترها بدأ يجعل رقبتها تؤلمها. «وإذا كانت هذه زيارة عمل فساعات العمل في وكالتي تبدأ من التاسعة حتى...» قاطعها وولف برقة، وعيناه متقاربتان: «انها ليست زيارة عمل، ياسين.» إذاً ماهي؟ ليست زيارة اجتماعية، بالتأكيد! فهما لم يستطيعا التورط بهذه الأنواع! وأكمل بصوت أجش: «قالت ريبيكا انك سألت عني اليوم.»

صححت سين: «عن صحتك.» وأحست بالحرارة تغطي وجهها من الغيظ. جعل الأمر يبدو كما لو أنها سألت ريبيكا عن خصوصياته الحميمة: «كاحلك لأكون دقيقة.»

«إنه بخير الآن شكراً.»

«وولف..»

قاطعها بسهولة خلال سخطها: «عندما أرسلت امتعتي بعد تلك العطلة وجدت ان بعض الأغراض مفقودة.» وكانت نظرته محكمة على وجهها الذي هرب اللون منه، تاركاً إياها تبدو شاحبة ومهمومة اكثر من أي وقت مضى! اغراض مفقودة...؟ رددت ببطء وهي تحاول كسب الوقت، والاعياء في معدتها يزداد: «آه تعني اغراض الرسم خاصتك؟» حاولت أن تبدو لا مبالية: «لقد تصرّفت بعصبية بسبب إحضاري لها ولم اتصوّر انك تريد استعادتها.» هزّت كتفيها بخفة غير قادرة على النظر إليه.

لم يكن عليها أن تبقي هذه الأغراض. أدركت ذلك على الفور، ومع ذلك كانت ستندم لتركها اياها. فهي كانت لوولف الذي عرفته واحبته، وولف الذي لم يعد موجوداً كما يبدو. ولكن لم يكن عليها التعلّق بهذه الأشياء. التي أعادت وولف

إلى حياتها مرة أخرى، مع أنه استغرق اكثر من شهر ليقرر العودة إليها...؟

التقت نظراتها بنظراته ورأسها مائل إلى الوراء وشعرها الحريري الأشقر ينساب على كتفيها وسألته بفظاظة: «لماذا لم تعد ترسم يا وولف؟»

قال بقسوة: «للسبب نفسه الذي ادير صناعات آل ثورنتون من أجله الآن.»

قالت غير مصدقة: «المال؟» لم تكن تستطيع أن تصدق حقاً أن عائلة ثورنتون بحاجة لمزيد من المال!

قاطعها قائلاً: «طبعاً لا...! لم يكن المال ابداً مهمّاً بالنسبة لي، انت تعرفين ذلك.» عبست سين: «إذا كان غير مهم بالنسبة لك، لماذا إذاً تمضي كل يوم، طيلة النهار في العمل لتجني منه أكثر؟»

صمتت لحظة ثم اضافت بنفاد صبر: «نحن ندور في حلقة مفرغة هنا يا وولف.»

«لقد قلت لي ذات مرة ما هو السبب تماماً، ياسين، إنه الشعور بالذنب، وذلك السبب لم يتغيّر.» وأخذ نفساً عميقاً وتابع: «أنا أكره إدارة صناعات آل ثورنتون، لطالما كنت كذلك، وسأظلّ كذلك.» تأملت تلك النار المتقدة في عينيه، وتعبيره القاسي، وجسده المتشنّج، كل هذا كان يشير إلى كرهه لكل القيود التي تكبّله؟ بسبب علاقته بزوجة أليكس؟ هذا مريع حقاً، بالطبع لم يكن هناك سبب ليعيش كذبة، ليزيل من حياته اشياء مثل السعادة والضحك وليقوم بالعمل الذي يستمتع به أكثر، ويشعر بانه ملزم على القيام به، لأن هذا ما كان يعنيه الرسم بالنسبة إليه في الماضي.

سألها بنفاد صبر: «لماذا تنظرين إليّ هكذا يا سين؟ لقد فسخت خطوبتنا للسبب نفسه منذ سبع سنوات!»

«سبع سنوات يا وولف وقت طويل لك لتغيّر الأشياء، لو أردت ذلك.» هز رأسه عابساً: «لم استطع استرجاع أليكس.»

«كان في امكانك إنهاء علاقتك بزوجته.» قالتها سين بازدراء وهي تتنفس بصعوبة من شدة غضبها. أصبح وولف هادئاً كثيراً، ومحدقاً بها: «ماذا قلت؟» هزّت رأسها: «كان في امكانك تغيير حياتك في أي وقت تريده، بدلاً من أن تحاول إعادة التاريخ نفسه، وتجلب ضحية بريئة أخرى إلى خضم المعاناة التي سببتها أنت وباربرا في حياتكما. من حسن حظ ريبيكا أنها أرادت من حياتها أكثر مما تستطيع أنت أن تمنحها اياه كما هو واضح، ولو أنها لا تعرف بعلاقتك مع باربرا، فهي على الأقل تعرف ما فيه الكفاية لتدرك أن زواجكما لن ينجح. فيا له من فرار محظوظ قمنا به أنا وريبيكا.»

وقف وولف وكأنه نحت من صخر، لا يتحرك ولا يرمش له جفن، فقط يحدق بسين وكأنه لم يرها من قبل.

كان صدر سين يعلو ويهبط من التأثر، وكل لحظة تمرّ تزيد من غضبها، كيف يجرؤ على القدوم إلى هنا حتى ينبش كل هذا من جديد؟ فهو لم يحلّ أي شيء. فقط أعاد كل الألم والمرارة. عندما كانت هي في حاجة ماسة لتبدأ حياتها...

تنفس وولف نفساً عميقاً، بدا وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة. وقال: «سين...»

قاطعته ببرودة: «لا أدري لماذا اتيت إلى هنا يا وولف؟ ولكنني اتمنى أن ترحل من جديد وتدعني على الأقل أعيش حياتي بهدوء.»

«سين، منذ سبع سنوات فسخت خطوبتنا بافتراض ما فعلته لأليكس.» تجاهل وولف غضبها وهو يختار كلماته بعناية، ولمع نور جديد غريب في عينيه. «وأيضاً ظننت أنك ادركت أن كولينز هو من تحبين.»

«لقد احببت روجر دائماً إذ كان العائلة والأخ اللذين لم أحظ بهما مطلقاً!»

ازدرد وولف لعابه متشنجاً وجسده كله متوتر: «وهذا ما كان عليه دائماً بالنسبة لك.»

«أنا لا أرى... سين أرجوك.» ولمعت عيناه بحدة، ثم قالت بنفاد صبر: «هذا ما كان عليه الأمر دائماً وكل ما يمكن أن يكونه.» فهي لم تحب أحداً غير وولف ولن تحب غيره أبداً.

بلع وولف ريقه من جديد وقال ببطء: «وأليكس، كيف تعتقدين أنني اذنبت بحقه منذ سبع سنوات.»

لوت فمها باحتقار: «أنا لا أعتقد، لقد كنت مذنباً بشيء ما، أنا عرفت...»

أصرّ أكثر: «عرفت ماذا؟»

«وولف، ذهبت إلى الشقة تلك الليلة، وتكلّمت مع باربرا. في الحقيقة لم أكن في حاجة إلى ذلك» أضافت بمرارة: «فحقيقة أنها كانت في انتظارك مرتدية فقط قميص نوم كان يكفي لإفهام أي كان ما المقصود به! مع العلم أنني لم افهم في البداية، فقد كان على باربرا أن تقولها لي بصراحة قبل

أن ادرك تماماً لماذا هي هناك. حتى في ذلك الوقت لم استطع تقبّل حقيقة ما يحصل وفي نفس اليوم الذي قتل فيه زوجها، اخوك.»

رد بجفاء: «باربرا قالت لك ذلك؟»

«آه، نعم! لقد أخبرتني كل شيء عن العلاقة المستمرة بينكما منذ عدة سنوات، وكيف أن أليكس أصبح متشككاً بكما، ولهذا تورطت معي أكثر من أي واحدة من عارضاتك الأخريات.»

قال وولف ببطء: «لأبعد الشكوك عني وعن باربرا؟»

«طبعاً، عادة تقيم علاقات عابرة فقط مع عارضاتك، ولكن هذه المرة احتجت لبعض التمويه عنك وعن زوجة أخيك، ولهذا تورطت في الخطوبة. لا أتصوّر انك نويت الزواج مني ابداً.» هزّت رأسها بأسى على غبائها لمجرد التفكير بأن شيئاً مثل هذا قد حصل... «فليس هناك من عائلة أو اقارب للتخفيف من وقع الأمر عليها أو تفضي لهم بمشاعرها، مجرد يتيمة سهلة تستطيع التخلص منها بمجرّد ان تخف شكوك أليكس حولك وحول باربرا.»

انتفض وولف: «أنت مخطئة يا سين...»

«كل ذلك الكلام عن زواجنا التقليدي.» أكملت بصوت متألم: «الفستان الأبيض الواسع والكعكة المزينة بالكريما، وعربة تجرها الخيول لنقل العروسين إلى حفل الزفاف.» احسّت سين بالدموع تتجمع في مقلتيها وهي تردد الكلمات التي جرحها بها وولف في ذلك اليوم الذي التقيا فيه من جديد في منزل آل هاركورت. لقد كان يعلم تماماً ما يقول في ذلك اليوم، وكيف يجرحها تماماً. فلم ينس قط أياً من

الكلمات التي قالتها له والتي تتعلق بزفافهما. صاح وولف: «أنا لا أصدق ذلك.» ويده تهتز قليلاً عندما أزاح شعره بعيداً عن وجهه، وجه شاحب إلى درجة أنه بدا رمادياً. وتابع قوله:

«سين، أنا لا أهتم بما قالته لك باربرا تلك الليلة أو أي ليلة أخرى، كانت في شقتي تلك الليلة لأنني كنت في المستشفى مع أمي، لقد تلقّت صدمة شديدة، بموت أليكس. وادّعت باربرا أنها لا تريد أن تكون وحدها في منزلها تلك الليلة.» هزّ رأسه قليلاً بذهول: «لا أستطيع أن اصدق أننا كنا نتكلم عن شيئين مختلفين تماماً تلك الليلة، ولم يكن هناك من داعٍ لتلك السنوات السبع الضائعة...» جلس فجأة وكأن رجليه لا تقويان على حمله.

الآن كان دور سين لتحدّق به ولتحاول أن تفهم ذلك. لقد حصلت لأمه صدمة شديدة تلك الليلة، بطريقة ما اعتقدت أن ذلك حدث بعد وفاة اليكس ولكن ليس في نفس اليوم الذي مات فيه. لم يكن لديها أي فكرة بأن هذا ما عناه وولف ذلك اليوم عندما اخبرها أن أمه انهارت.»

لم يكن يعلم من يساعد اولاً، امه المريضة جسدياً أم أرملة اخيه!

لكن ماذا عن الأقوال التي ذكرتها باربرا تلك الليلة؟ ذكّرته بقوة: «لقد اعترفت بذنبك يا وولف.» مقررة أن لا تظهر أي علامة تدل على ضعف وإلا سوف تضيع من جديد: «اخبرتني انك لن تنسى ما فعلته بأليكس.»

عارضها بقوة: «ولكنني لم اقصد باربرا!» ووقف على قدميه من جديد وتحرك عبر الغرفة نحوها: «أنا من كان

يجب أن يكون في المروحية. يا سين، أنا الذي كان مفترضاً ان يموت!»

عبست مدققة في قسمات وجهه ولم تفهم، احتضن وولف كتفيها واصابعه تشدّ عليها بقوة وهو يهزها: «أنا من كان يجب أن يقوم برحلة العمل يا سين.»

«ولكن...»

«أنا الأبن الأكبر يا سين.» وهزّها من جديد: «ألا تفهمين؟» وفجأة فهمت. لقد اعتقدت أليكس دائماً الأبن الأكبر، وأن وولف هو الأصغر. ولذلك سمح له بمتابعة المهنة التي اختارها. ولكن إذا كان وولف هو الأكبر. فهو الذي كان من المتوقع أن يأخذ مكان ابيه في صناعات آل ثورنتون. ولكنه رفض لأنه اراد احتراف الرسم، وهكذا لم يترك لأليكس أي خيار إلا أن يتردي الثوب الذي رفضه أخوه وولف!

هزت رأسها والدموع تملأ عينيها من جديد، ولكن هذه المرة كانت الدموع من أجل وولف، لأجل الذنب الذي شعر به طوال سبع سنوات، لأنه احسّ أن رحلة العمل تلك هو من كان يجب أن يقوم بها، وهو من كان يجب أن يموت، وليس أليكس. قالت له بصوت متألم: «أنت مخطىء، فأليكس كان يتمتع بكونه رئيس صناعات آل ثورنتون. فهو كان سيبقى في الشركة حتى لو أردت أن تأخذ مكان الرئاسة بعد وفاة والدك. أليكس كان رجل اعمال بكل ما في الكلمة من معنى. وكان يتمتّع بهذا.» قالت من دون أدنى شك: «وولف، أنا أعتقد أنه لو كنت أو لم تكن في الشركة، فلا يغير ذلك شيئاً. أنا أؤمن بأنه عندما يحين وقت موتك، فهو يحصل ان في

حادث تحطم طائرة أو حادث سيارة أو أسباب طبيعية بسيطة. منذ سبع سنوات كان أجل اليكس، يا وولف» قالت له بحتمية: «وما من شيء تستطيعه أو تفعله يمكن أن يغير شيئاً من هذا الأمر.» اغلق عينيه متمايلاً بخفة: «لِمَ لم تقولي كل هذه الأشياء منذ سبع سنوات؟» تأوّه بوهن ناظراً إليها من جديد: «لماذا؟» لأنها منذ سبع سنوات صدّقت ما قالته باربرا ولم تعد الآن تصدقها، هي أكيدة من أن العلاقة كانت مجرد امنية في رأس باربرا.

لقد لعبت على قلّة الثقة لدى سين، وعدم اطمئنانها إلى أن رجلاً مثل وولف من المحتمل أن يحب فتاة مثلها. لم تعد لديها الآن نفس اسباب قلة الثقة ولكن، كما قال وولف ان سبع سنوات مدة طويلة...

نظرت إليه بعينين دامعتين: «لا تعرف كم تمنّيت أن افعل. آه يا وولف كم كنا غبيين!» لم تكن مسؤوليتها وحدها.

كان على وولف تحمّل جزء منها، فتعذيبه لنفسه بسبب أليكس لم يكن ضرورياً البتة. وشعرت انها في حاجة لأن يؤكد لها أنهما أخيراً سيكونان معاً، شعرت أنه سيكون لديها هذا الشعور لوقت طويل. تأوّه قبل أن يحملها بين ذراعيه إلى الكنبة. وقبل ان تغيب عن الوعي.

نظرت إليه سين بحنان: «بعد ذلك، هل هذا يعني أننا مخطوبان لبعضنا البعض من جديد؟»

قال وولف بحدة: «كلا. لا يعني هذا.» ونبرة صوته لم تدع مجالاً للجدال.

وتابع: «لقد اكتفيت من الخطوبات. هذه المرة لن اعطيك فرصة لتغيري رأيك. سوف نتزوج فوراً!»

داعبت شعرها بأصابعها: «ريبيكا قالت انك اردت الزواج فقط لكي تؤمّن وريثاً لثورنتون.» قالتها مستفزة، ولكن نظراتها كانت مركزة بفضول على وجهه الجميل المسترخي. «أنا لست هارباً من الحقيقة، في حالة ريبيكا، نعم، هذا كان صحيحاً»، اعترف بحزن: «ولكن فيما يخصّنا، أنا اريدك أنت فقط، ولا اهتم ان لم ننجب أطفالاً.»

كان كل ما يهمه، هو، التعويض عن السنوات السبع التي افترقا فيها عن بعضهما. ونظر إليها نظرة حالمة، وأكد لها بصوت متأثر: «أنا أحبك يا سين، وسأحبك إلى الأبد.»

لن تشك في ذلك ابداً من جديد، وعرفت بعد هذه السنوات، كيف تتعامل مع أي معضلة قد تضعها كلوديا أو باربرا في طريق سعادتها. وباربرا لا تشكل تهديداً لها ولم تكن قط.

حثته سين برقة: «ورسمك يا وولف، هل ستعود إليه؟»

أجابها: «بالتأكيد، سأعود إلى الرسم مجدداً، بعد عودة الحب إلى قلبي.»

بعد تلك اللحظات وجدت سين صعوبة في التفكير، بعد ما نظر إليها مطولاً، نظرة حنان وحب وشوق. هذا ما كان لهما، وما سيكون معهما دائماً، إلتزامهما بالحب العميق لبعضهما.

تمت